أنطون تشيخوف



النورس

ملهاة في أربعة فصول

ترجمة أبو بكر يوسف

النورس

ملهاة في أربعة فصول

تأليف
أنطون تشيخوف

ترجمة
أبو بكر يوسف



النورس

أنطون تشيخوف

Чайка

Anton Chekhov

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٦٩٢ ٦

صدر أصل هذا الكتاب باللغة الروسية عام ١٨٩٦.
صدرت هذه الترجمة عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

المحتويات

شخصيات المسرحية

إيرينا نيكولايفنا أركادينا: (تريبليفا حسب عائلة زوجها) ممثلة.

قسطنطين جافريلوفتش تريبليف: ابنها، شاب.

بيوتر نيكولايفتش سورين: شقيقها.

نينا ميخايلوفنا زاريتشنايا: فتاة شابَّة، ابنة إقطاعي ثري.

إيليا أفناسيفتش شمرايف: ملازم متقاعد، خوليٌّ عند سورين.

بولينا أندريفنا: زوجته.

ماشا: ابنته.

بوريس أليكسيفتش تريجورين: كاتب.

يفجيني سرجيفتش دورن: طبيب.

سيميون سيميونوفتش.

مدفيدينكو: مدرس

ياكوف: عامل

طاهٍ.

خادم.

الأحداث تجري في ضيعة سورين. يمضي على الأحداث بين الفصل الثالث والرابع عامان.

الفصل الأول

(جزء من حديقة في ضيعة سورين. ممر واسع يتجه من النظارة إلى عمق الحديقة نحو البحيرة، تحجبه خشبة مسرح شيِّدت على عجل لعرض منزلي بحيث لا ترى البحيرة مطلقًا. على يسار ويمين خشبة المسرح خمائل. بضعة كراسي، طاولة صغيرة. الوقت بعد الغروب مباشرة. خلف الستار المسدل على خشبة المسرح يقف ياكوف وعمال آخرون. يتردَّد سعال ودق. ماشا ومدفيدينكو قادمان من اليسار، عائدان من نزهة.)

مدفيدينكو: لماذا ترتدين السواد دائمًا؟

ماشا: حدادًا على حياتي. أنا تعيسة.

مدفيدينكو: لماذا؟ (متفكرًا) لست أفهم ... أنتِ صحيحة، ووالدكِ إن لم يكن ثريًّا فهو ميسور. أنا أعيش حياة أصعب من حياتك بكثير. أتقاضى ٢٣ روبلًا فقط في الشهر، ويخصمون مني لصندوق المساعدات، ومع ذلك لا ألبس الحداد.

(يجلسان.)

ماشا: ليست القضية في النقود. الفقير أيضًا بوسعه أن يكون سعيدًا.

مدفيدينكو: هذا نظريًّا، أما في الواقع فالصورة هكذا: أنا، وأمي، وشقيقتاي، وأخي الصغير، والراتب ٢٣ روبلًا لا غير. والأكل والشرب ضروري؟ والشاي والسكر؟ والتبغ ضروري؟ دبِّر أمورك إذن!

ماشا (تتلفَّت إلى الخشبة)**:** قريبًا يبدأ العرض.

مدفيدينكو: نعم. ستقوم زاريتشنايا بالتمثيل، أما المسرحية فمن تأليف قسطنطين جافريلوفتش. إنهما يعشقان بعضهما البعض، وستتحد روحاهما اليوم سعيًا إلى تقديم نفس الصورة الفنية. أما روحي وروحك فليس لديهما نقط تماس. أنا أحبك، ولا أستطيع من الشوق أن أبقى في البيت، أقطع كل يوم ستة كيلومترات إلى هنا وستة في العودة، فلا ألقى منكِ سوى اللامبالاة. هذا مفهوم. أنا بلا موارد، وأسرتي كبيرة ... فمن ذا يرغب في الزواج من شخص، لا يجد هو نفسه ما يأكله؟

ماشا: كلام فارغ. (تستنشق التبغ) أنا أشعر بالتأثُّر من حبك، ولكني لا أستطيع أن أبادلك الحب، وهذا كل ما هنالك. (تمد له علبة التبغ) تفضَّل.

مدفيدينكو: لا أريد.

(صمت.)

ماشا: الجو خانق. يبدو أن العاصفة ستهبُّ ليلًا. أنت دائمًا تتفلسف أو تتحدَّث عن النقود. وفي رأيك لا توجد مصيبة أكبر من الفقر، ولكني أرى أنه من الأسهل ألف مرة أن تسير في الأسمال وتشحذ من أن ... وعمومًا فلن تفهم هذا ...

(من اليمين يدخل سورين وتريبليف.)

سورين (معتمدًا على عصًا): أنا يا أخي لا أشعر بالارتياح في الريف، ومفهوم طبعًا أنني لن أتعود هنا أبدًا. بالأمس رقدت في العاشرة، واستيقظت صبح اليوم في التاسعة بإحساس وكأن مخي؛ بسبب النوم الطويل، قد التصق بجمجمتي وخلافه. (يضحك) وبعد الغداء نمت ثانيةً دون قصد، والآن أحس بأني كلي محطَّم، وأشعر بكابوس، وفي نهاية الأمر ...

تريبليف: صحيح، ينبغي لك أن تعيش في المدينة. (يرى ماشا ومدفيدينكو) يا سادة، عندما يبدأ العرض سيدعونكما، أما الآن فممنوع الجلوس هنا. انصرفا من فضلكما.

سورين (لماشا): ماريا إيلينتشنا، اصنعي معروفًا واطلبي من والدك أن يأمر بإطلاق سراح الكلب لأنه يعوي. أختي لم تنم مرة أخرى طوال الليل.

ماشا: تحدَّث مع أبي بنفسك، أنا لن أفعل. اعفني أرجوك. (لمدفيدينكو) هيا بنا!

مدفيدينكو (لتريبليف): أرسل مَن يدعونا قُبيل البداية.

(ينصرفان.)

سورين: وإذن سيعوي الكلب طول الليل مرة أخرى. يا لها من حكاية! لم أَعِش في الريف أبدًا مثلما كنت أرجو. أحيانًا كنت آخذ إجازة ٢٨ يومًا، وآتي إلى هنا لأرتاح وخلافه، ولكنَّهم يرهقونك بشتَّى التفاهات حتى تشعر بالرغبة في الهرب من أول يوم. (يضحك) دائمًا كنت أرحل عن هنا بسرور ... أما الآن فأنا متقاعد، لا مهرب أمامي، في نهاية الأمر. عليك أن تعيش شئت أم أبيت ...

ياكوف (لتريبليف)**:** سنذهب للاستحمام يا قسطنطين جافريليتش.

تريبليف: حسنًا، لكن بعد عشر دقائق تكونون في أماكنكم. (ينظر إلى الساعة) سنبدأ قريبًا.

ياكوف: حاضر (ينصرف).

تريبليف (يشمل خشبة المسرح بنظرة)**:** ها هو ذا المسرح. الستار، الكواليس الأولى، ثم الثانية، وبعدها مساحة خاوية. ليس هناك أي ديكورات. المنظر يتكشَّف مباشرة على البحيرة والأفق. سنرفع الستار في الثامنة والنصف تمامًا، عندما يطلع القمر.

سورين: رائع.

تريبليف: إذا تأخرت زاريتشنايا فسيضيع طبعًا كل تأثير. حان وقت مجيئها. أبوها وزوجته يحرسانها، حتى إن الإفلات من البيت في صعوبة الإفلات من السجن (يصلح رابطة عنق خاله). لحيتك وشعرك مشعثان. أعتقد عليك أن تحلق ...

سورين (يمشط لحيته)**:** مأساة عمري. حتى في شبابي كانت سحنتي تبدو وكأنني أغرقت في الشراب وخلافه. النساء لم يحببنني أبدًا. (يجلس) لماذا تبدو أختي معتلَّة المزاج؟

تريبليف: لماذا؟ تضجر. (يجلس بجواره) تغير. إنها تقف الآن ضدي، وضد العرض، وضد مسرحيتي لأن زاريتشنايا قد تروق لصاحبها الكاتب. إنها لا تعرف مسرحيتي ولكنها أصبحت تمقتها.

سورين (يضحك)**:** كم تختلق ...

تريبليف: إنها تشعر بالأسى؛ لأنه على هذه الخشبة الصغيرة ستحظى بالنجاح زاريتشنايا لا هي. (ينظر إلى الساعة) يا لها من مفارقة سيكولوجية أمي هذه! إنها بلا شك موهوبة، ذكية، قادرة على البكاء إذ تقرأ كتابًا، وتسمعك نيكراسوف[١] كله عن ظهر

---

[١] نيكولاي نيكراسوف (١٨٢١–١٨٨٧م) شاعر روسي من الديمقراطيين الثوريين. (المعرِّب)

قلب، وترعى المرضى كملاك، ولكن فلتحاول أن تمدح أمامها دوزيه![٢] أو – هو – ه! ينبغي أن تمدحها هي فقط، ينبغي أن تكتب عنها وحدها، وأن تصرخ وتعجب بأدائها الخارق في La dame aux camellias أو «دخان الحياة»،[٣] ولكن بما أن هذا المخدِّر ليس موجودًا هنا، في القرية، فهي تضجر وتغضب، وكلنا أعداؤها، كلنا مذنبون. وفوق ذلك فهي متطيرة، تخاف الشموع الثلاث، ورقم ثلاثة عشر. إنها بخيلة. لديها في البنك في أوديسا سبعون ألف روبل. أعرف ذلك عن يقين. ولو سألتها سلفة لبكَتْ.

سورين: لقد تصوَّرت أن مسرحيتك لا تعجب أمك، وها أنت ذا تضطرب وخلافه. اطمئن، أمك تعبدك ...

تريبليف (يقطع أوراق زهرة)**:** تحبني، لا تحبني، تحبني، لا تحبني. تحبني، لا تحبني. (يضحك) انظر، أمي لا تحبني، وكيف لا! إنها تريد أن تعيش، وتحب، وترتدي البلوزات الزاهية، ولكن أنا في الخامسة والعشرين، وأذكِّرها دائمًا بأنها لم تعُد صبية. عندما لا أكون موجودًا فهي في الثانية والثلاثين فقط، أما في حضوري فهي في الثالثة والأربعين؛ ولهذا فهي تمقتني. وهي تعلم أيضًا أنني لا أعترف بالمسرح. إنها تحب المسرح. ويخيَّل إليها أنها تخدم البشرية والفن المقدَّس، أما أنا فأعتبر المسرح المعاصر روتيناً، خزعبلات. عندما يرتفع الستار، وفي ضوء المغيب، في غرفة بثلاثة جدران، يقوم هؤلاء الموهوبون العظام، كهنة الفن المقدَّس، بتصوير كيف يأكل الناس ويشربون ويحبون ويسيرون ويرتدون ستراتهم ... عندما يحاولون أن يستخرجوا من العبارات والصور المبتذلة عبرة، عندما يقدمون لي بألف تنويع نفس الشيء، نفس الشيء، نفس الشيء ... عندئذٍ أركض وأركض هربًا، كما هرب موباسان من برج إيفل الذي كان يضغط بابتذاله على عقله.

سورين: بدون المسرح لا يمكن.

تريبليف: مطلوب أشكال جديدة. أشكال جديدة مطلوبة، فإذا لم تكن موجودة فالأفضل لا شيء. (ينظر إلى الساعة) أنا أحب أمي، أحبها جدًّا. ولكنها تعيش حياة

[٢] أليانورا دوزيه (١٨٥٨–١٩٢٤م) ممثلة إيطالية شهيرة، أحيت حفلات في روسيا في تسعينيات القرن التاسع عشر. (المعرِّب)

[٣] «غادة الكاميليا» مسرحية ألكسندر دوماس الابن المأخوذة عن رواية بنفس العنوان، و«دخان الحياة» مسرحية للكاتب الروسي ماركيفتش (١٨٢٢–١٨٨٤م)، وكان كاتبًا رجعيًّا هاجم في رواياته الآراء التحررية والديمقراطية. (المعرِّب)

مشوشة، وتعاشر هذا الكاتب بشكل سافر، والصحف تلوك سيرتها دائمًا … وهذا يرهقني. وأحيانًا تفصح عن نفسها. فيَّ مجرد أنانية الإنسان العادي. أشعر بالأسف لأن أمي ممثلة مشهورة، ويخيل إليَّ أنها لو كانت امرأة عادية، لكنت أسعد. قل لي يا خالي، هل هناك وضع أسوأ وأحمق من التالي: إذ يحدث أن يجتمع في ضيافتها المشاهير فقط، الفنانون والأدباء، وأنا وحدي التافه بينهم، ويتحمَّلونني فقط لأني ابنها. فمن أنا؟ وماذا أنا؟ تركت الجامعة في الصف الثالث لأسباب خارجة عن إرادة هيئة التحرير، كما يقال، بدون أية مواهب، ولا خردة، أما حسب الهوية فبرجوازي صغير من كييف. فأبي أيضًا برجوازي صغير من كييف، رغم أنه كان ممثلًا مشهورًا. وهكذا فعندما كان كل هؤلاء الفنانين والكُتاب في صالونها يوجهون إليَّ انتباههم الرحيم، كان يخيَّل إليَّ أنهم يقيسون بنظراتهم تفاهتي … كنت أخمن أفكارهم فأعاني من المهانة …

سورين: بالمناسبة، قل لي من فضلك. أيُّ إنسان كاتبها هذا؟ أنا لا أفهمه. صامت دائمًا.

تريبليف: إنه شخص ذكي، بسيط، سوداوي إلى حدٍّ ما. رجل قويم جدًّا. لن يبلغ الأربعين قريبًا ولكنه مشهور بالفعل وشبعان … شبعان حتى الحلق … وهو الآن لا يشرب إلا البيرة ويستطيع أن يحب الكهلات فقط. أما بخصوص كتاباته ف … ماذا أقول لك؟ لطيفة، موهوبة … ولكن … بعد تولستوي وزولا لا تشعر بالرغبة في قراءة تريجورين.

سورين: أما أنا يا أخي فأحب الأدباء. في وقتٍ ما كنت أرغب بشغفٍ في شيئَين: أن أتزوَّج، وأن أصبح أديبًا، ولكني لم أوفَّق لا إلى هذا ولا إلى ذاك. نعم. لطيف أن تكون ولو أديبًا صغيرًا في نهاية الأمر.

تريبليف (يصغي) **:** أسمع خطوات … (يعانق خاله) أنا لا أستطيع أن أعيش بدونها … حتى وقع خطواتها رائع … أنا سعيد بجنون. (يسرع لملاقاة نينا زاريتشنايا وهي تدخل) يا ساحرتي، يا حلمي …

نينا (باضطراب)**:** لم أتأخر … طبعًا، لم أتأخر …

تريبليف (يقبِّل يدَيها)**:** كلا، كلا، كلا …

نينا: كنت قلقة طوال النهار، كم شعرت بالفزع! كنت أخشى ألَّا يتركني أبي أذهب … لكنه رحل الآن مع زوجته. السماء حمراء، وقد بدأ القمر يطلع فألهبت الحصان، (تضحك) ولكني سعيدة (تشدُّ بقوةٍ على يد سورين).

سورين (يضحك)**:** عيناكِ تبدوان باكيتَين … هئ – هئ … لا يصح!

نينا: لا، لا شيء ... أترى كيف أتنفَّس بصعوبة بعد نصف ساعة سأرحل، ينبغي الإسراع. لا يمكن، لا يمكن، أرجوك لا تؤخِّرني. أبي لا يعلم أنني هنا.

تريبليف: حقًّا، حان أن نبدأ. ينبغي الذهاب لدعوة الجميع.

سورين: أنا سأذهب وخلافه. حالًا. (يمضي يمينًا وهو يغني) «وصل إلى فرنسا جنديان فارسان ...» (يتلفت) ذات مرة غنيت هكذا. فقال لي أحد وكلاء النيابة: «صوتكم يا صاحب المعالي قوي» ... ثم فكر قليلًا وأضاف: «ولكنه ... كريه» (يضحك وينصرف).

نينا: أبي وزوجته لا يسمحان لي بالمجيء. يقولان إن المكان هنا بوهيمي ... يخشيان أن أصبح ممثلة ... ولكني أنجذب إلى هنا، إلى البحيرة، كالنورس ... قلبي مليء بك (تتلفَّت).

تريبليف: نحن وحدنا.

نينا: يبدو أن أحدًا هناك ...

تريبليف: لا أحد.

(قبلة.)

نينا: أية شجرة هذه؟

تريبليف: دردار.

نينا: ولماذا هي مظلمة هكذا؟

تريبليف: المساء حل؛ ولذلك تظلم كل الأشياء. لا ترحلي مبكرًا، أتوسل إليك.

نينا: لا يمكن.

تريبليف: وماذا لو ذهبت إليكِ يا نينا؟ سأقف طوال الليل في البستان وأتطلَّع إلى نافذتك.

نينا: لا يمكن، سيراك الحارس. تريزور لم يألفك بعد وسوف ينبح.

تريبليف: أنا أحبك.

نينا: هس ...

تريبليف (وقد سمع خطوات)**:** من هناك؟ ياكوف؟

ياكوف (من وراء الخشبة)**:** نعم، بالضبط.

تريبليف: اشغلوا أماكنكم. حان الوقت. القمر يصعد؟

ياكوف: نعم، بالضبط.

تريبليف: الكحول موجود؟ والكبريت موجود؟ عندما تظهر العينان الحمراوان ينبغي أن تفوح رائحة الكبريت (لنينا) هيا، كل شيء جاهز هناك. أنتِ مضطربة؟ ...

نينا: نعم. جدًّا. والدتك لا بأس بها، لا أخشاها، ولكن عندكم تريجورين ... أشعر بالرعب والخجل من اللعب في حضوره ... كاتب مشهور ... هل هو شاب؟

تريبليف: نعم.

نينا: ما أروع قصصه!

تريبليف (ببرود): لا أعرف، لم أقرأها.

نينا: من الصعب التمثيل في مسرحيتك. ليس فيها شخصيات حية.

تريبليف: شخصيات حية! ينبغي تصوير الحياة لا كما هي عليه، ولا كما يجب أن تكون، بل كما تتبدَّى في الأحلام.

نينا: الحركة قليلة في مسرحيتك، مجرد قراءة، في رأيي أن المسرحية لا بد أن يكون فيها حب أيضًا ...

(يمضيان إلى خلف الخشبة، تدخل بولينا أندرييفنا ودورن.)

بولينا أندرييفنا: أصبح الجوُّ رطبًا. عُد والبس خفًّا.

دورن: أنا حرَّان.

بولينا أندرييفنا: أنت لا تحافظ على صحتك. هذا عناد. أنت دكتور وتعرف جيدًا أن الهواء الرطب ضارٌّ لك، ولكنك تريد أن أعاني. لقد جلست بالأمس المساء كله في الشرفة عن عمد ...

دورن (يدندن): «لا تقولي ضيَّع العمرَ الشباب».

بولينا أندرييفنا: كنتَ منهمكًا بشدة في الحديث مع إيرينا نيكولايفنا ... ولم تلاحظ البرد. اعترف! إنها تعجبك ...

دورن: أنا عندي ٥٥ سنة.

بولينا أندرييفنا: بسيطة. بالنسبة للرجل فهي ليست شيخوخة. أنت حافظت على نفسك جيدًا، وما زلت تعجب النساء.

دورن: وإذن فماذا تريدين؟

بولينا أندرييفنا: كلكم مستعدون للانبطاح أمام الممثلة. كلكم!

دورن (يدندن): «أنا من جديد أمامك ...» إذا كان الناس يحبون الفنانين، وينظرون إليهم بشكلٍ مختلف عن نظرتهم إلى التجار مثلًا، فهذا من طبيعة الأشياء. هذه مثالية.

بولينا أندرييفنا: النساء كن يقعْنَ في حبك دائمًا ويتعلَّقْنَ برقبتك. هل هذه أيضًا مثالية؟

دورن (يهز كتفَيه)**:** حسنًا، في علاقة النساء بي كان الكثير من الأشياء الطيبة. كن يحببْنَ فيَّ، بالدرجة الأولى، طبيبًا ممتازًا. فمنذ ١٠–١٥ سنة، وكما تذكرين، كنت طبيب الولادة المحترم الوحيد في المحافظة كلها. ثم إنني كنت دائمًا رجلًا شريفًا.

بولينا أندرييفنا (تقبض على ذراعه)**:** يا عزيزي!

دورن: مهلًا. إنهم قادمون.

(تدخل أركادينا متأبِّطة ذراع سورين ومعهما تريجورين وشمرايف ومدفيدينكو وماشا.)

شمرايف: في سنة ١٨٧٣م في بولتافا لعبت في السوق بإعجاز، كانت ساحرة! لعبت بروعة! ألا تتكرمين أيضًا بمعرفة أين يوجد الآن الممثل الكوميدي تشادين بافل سيميونتش؟ كان في دور راسبلويف لا مثيل له، أفضل من سادوفسكي أقسم لكِ يا سيدتي الموقَّرة. أين هو الآن؟

أركادينا: ما زلت تسألني عن أشخاصٍ غابرين. من أين لي أن أعرف؟ (تجلس.)

شمرايف (وقد تنهد)**:** باشكا تشادين! أمثاله لا وجود لهم الآن. لقد سقط المسرح يا إيرينا نيكولايفنا! في الماضي كانت أشجار بلوط جبارة، أما الآن فلا نرى إلا بقايا الجذوع.

دورن: المواهب الساطعة قليلة الآن، هذا صحيح، لكن الممثل المتوسط أصبح أرقى بكثير.

شمرايف: لا يمكنني أن أوافقك. وعمومًا فهي قضية ذوق.

De gustibus aut bene, aut nihil.[٤]

(يخرج تريبليف من خلف الخشبة.)

أركادينا (لابنها)**:** يا ولدي العزيز، متى تبدءون إذن؟

تريبليف: بعد دقيقة. أرجو الصبر.

أركادينا (تقرأ من «هاملت»)**:** «يا بُنيَّ، لقد حوَّلت بصري إلى داخل نفسي، فرأيتها في قروح دامية مميتة ... فلا خلاص!»

---

[٤] الأذواق إما تذكر بالخير وإما لا تذكر إطلاقًا (باللاتينية في النص الأصلي).

تريبليف (من «هاملت»): «فلمَ انسقت إلى الرذيلة، وعن الحب بحثتِ في أغوار الآثام؟»

(يدوي نفير خلف الخشبة.)

يا سادة، البداية! أرجو الانتباه!

(صمت.)

سأبدأ. (يدقُّ بعصًا. ويقول بصوت عالٍ) أنت، أيتها الظلال القديمة الموقرة، التي تهوم تحت جنح الليل فوق هذه البحيرة، نوِّمينا، ولنرَ في الحلم ما الذي سيكون بعد مائتَيْ ألف عام!

سورين: بعد مائتَي ألف عام لن يكون شيء.
تريبليف: حسنًا، فليصوِّروا لنا إذن هذا اللاشيء.
أركادينا: ليكن. نحن نائمون.

(يرتفع الستار. يظهر منظر البحيرة، القمر فوق الأفق وانعكاسه في المياه. على صخرة كبيرة تجلس نينا زاريتشنايا متشحة بالبياض.)

نينا: الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات القرون، والأوز، والعناكب، والأسماك الخرساء، التي عاشت في المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التي لم يكن ممكنًا رؤيتها بالعين … باختصار كل الأحياء، كل الأحياء انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة … مرَّت آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثرًا لحيٍّ، وعبثًا يضيء هذا القمر المسكين مصباحه. في المروج لم تعُد اللقالق تستيقظ زاعقة، وفي غيضات الزيزفون لم يعُد يُسمع أزير خنافس الربيع. برد، برد، برد، خواء، خواء، خواء، رعب، رعب، رعب.

(صمت.)

تبدَّدت أجساد الأحياء ترابًا، وحوَّلتها المادة الخالدة إلى صخور، ومياه، وسحب، واتحدت أرواحها كلها في روح واحدة. روح عالمية عامة هي أنا … أنا … فيَّ روح الإسكندر الأكبر، وقيصر، وشكسبير، ونابليون، وآخر علقة. اتَّحد فيَّ وعي الناس بغرائز الحيوانات، وأنا أذكر كل شيء، كل شيء، كل شيء، وكل حياة أعايشها في نفسي من جديد.

(تلوح أضواء المستنقع.)

أركادينا (بصوت خافت)**:** هذا من عصر الانحطاط.

تريبليف (بضراعة ولوم)**:** ماما!

نينا: أنا وحيدة. مرة كل مائة عام أحرِّك شفتي لكي أتحدث، فيرن صوتي في هذا الخواء كئيبًا، ولا يسمعني أحد ... وأنت أيتها الأضواء الشاحبة لا تسمعينني ... قرب الصباح يلدك المستنقع العفن فتهومين حتى الفجر، لكن بلا أفكار، بلا إرادة، بلا رعشة الحياة. وخشية أن تبعث فيك الحياة، يجري فيك الشيطان، أبو المادَّة الخالدة، كل لحظة، كما في الصخور والمياه، تبادل الذرات، فتتغيرين بلا توقف. لا يبقى ثابتًا لا يتغير في الكون سوى الروح.

(صمت.)

وكالأسير الملقى في بئر خاوية عميقة لا أدري أين أنا، ولا ماذا ينتظرني. لا يبين لي إلا شيء واحد، وهو أنه في الصراع الضاري القاسي مع الشيطان، مع أصل القوى المادية، قد كُتب لي النصر، وبعد ذلك ستتحد المادة والروح في هارموني رائع ويحل ملكوت الإرادة العالمية، ولكن ذلك لن يتحقَّق إلا بعد أن يكون القمر، والشعرى المضيئة، والأرض، شيئًا فشيئًا، خلال صف طويل طويل من آلاف السنين، قد تحولت إلى غبار ... وإلى أن يحين ذلك فلا شيء إلا الرعب، الرعب ...

(صمت. على خلفية البحيرة تظهر نقطتان حمراوان.)

ها هو غريمي الجبار، الشيطان، يقترب. إنني أرى عينَيه الرهيبتَين الدمويتَين ...

أركادينا: رائحة كبريت. هذا مطلوب؟

تريبليف: نعم.

أركادينا (تضحك)**:** نعم، هذا مؤثر.

تريبليف: ماما!

نينا: إنه يضجر بدون الإنسان ...

بولينا أندرييفنا (لدورن)**:** لقد نزعت قبعتك. البسها وإلا بردت.

أركادينا: لقد نزع الدكتور قبعته أمام الشيطان، أبى المادة الخالدة.

تريبليف (منفجرًا، بصوت عالٍ)**:** انتهت المسرحية! كفى! ستار!

أركادينا: لماذا تغضب؟

تريبليف: كفى! ستار! أنزل الستار! (يدقُّ بقدمه) ستار!

(يهبط الستار.)

آسف! لقد نسيت أن كتابة المسرحيات واللعب على المسرح لا يستطيعه إلا قليل من المختارين. لقد تطاولت على الاحتكار! إنني ... أنا ... (يود أن يقول شيئًا آخر ولكنه يشيح بيده وينصرف يسارًا).

أركادينا: ماذا به؟

سورين: إيرينا، لا يصح يا عزيزتي معاملة غرور الشباب بهذه الطريقة.

أركادينا: وماذا قلت له؟

سورين: أنت أهنته.

أركادينا: هو نفسه الذي نبهنا إلى أنها مزحة، فنظرت إلى مسرحيته على أنها مزحة.

سورين: ومع ذلك ...

أركادينا: والآن يتضح أنه كتب عملًا عظيمًا! هكذا! وإذن فقد أقام هذا العرض وأطلق رائحة الكبريت لا من أجل المزاح بل للاستعراض ... أراد أن يعلمنا كيف ينبغي أن نكتب وما الذي علينا أن نلعبه، ولكن هذا في النهاية يثير الملل. هذه التطاولات الدائمة عليَّ والوخزات، اسمح لي، إنها تضجر أي إنسان! صبي نزق، مغرور.

سورين: لقد أراد أن يرضيك.

أركادينا: حقًّا؟ ولكنه لم يختر أية مسرحية عادية، بل أجبرنا على سماع هذا الهذيان الرمزي. من أجل المزاح أنا مستعدة لأن أسمع حتى الهذيان، ولكن هنا ادعاءات بفتح عصر جديد في الفن. بيد أني لا أرى أي أشكال جديدة هنا، بل مجرد طبع سيئ.

تريجورين: كل إنسان يكتب كما يريد وكما يستطيع.

أركادينا: فليكتب كما يريد وكما يستطيع، ولكن فليدعني وشأني.

دورن: جوبيتر، أنت تغضب ...[٥]

أركادينا: أنا لست جوبيتر، بل امرأة (تشعل سيجارة) أنا لا أغضب، فقط أشعر بالأسى لهذا الشاب الذي يقضي وقته بهذا الملل. أنا لم أقصد إهانته.

[٥] بداية عبارة شائعة: «جوبيتر، أنت تغضب إذن لست على حق.» (المعرِّب)

مدفيدينكو: لا أحد يملك أساسًا لفصل الروح عن المادة؛ ذلك لأن الروح ربما هي في حد ذاتها محصلة الذرات المادية. (لتريجورين بحيوية) أتدري، لو أن أحدًا وصف في مسرحية ثم لعب على الخشبة كيف يعيش صاحبنا المدرس. صعبة حياته، ما أصعبها!

أركادينا: هذا حق، ولكن دعونا من الحديث لا عن المسرحيات ولا عن الذرات. ما أروعه من مساء! أتسمعون يا سادة، غناء؟ (تصيخ السمع) ما أحلاه!

بولينا أندرييفنا: هذا في الشاطئ الآخر.

(صمت.)

أركادينا (لتريجورين)**:** اجلس بجواري. منذ ١٠–١٥ سنة كانت الموسيقى والغناء يسمعان هنا، على البحيرة، كل ليلة تقريبًا، بلا انقطاع. هنا على الشاطئ ست دور إقطاعية، أذكر الضحك، والصخب، وإطلاق النار، ومغامرات الحب اللانهائية … كان Jeune Premier ومعبود هذه الدور الست كلها آنذاك هذا، أقدمه لكم (تومئ إلى دورن) الدكتور يفجيني سرجييفتش. حتى الآن ما زال جذابًا، ولكنه كان آنذاك صاعقًا، لكن ضميري بدأ يعذبني. لماذا أهنت ولدي المسكين؟ أنا قلقة. (بصوت عالٍ) يا كوستيا! يا بني! كوستيا!

ماشا: سأذهب لأبحث عنه.

أركادينا: لو سمحت يا عزيزتي.

ماشا (تنصرف يسارًا)**:** آو! يا قسطنطين جافريلوفتش! … آو (تنصرف).

نينا (تخرج من وراء الخشبة)**:** يبدو أن المسرحية لن تُستكمل، وبوسعي أن أخرج. مرحبًا! (تتبادل القبلات مع أركادينا وبولينا أندرييفنا).

سورين: برافو، برافو!

أركادينا: برافو، برافو! كنا نتملَّاك! بهذه الملامح، وبهذا الصوت الساحر حرام أن تبقي في القرية. لديكِ موهبة أكيد. أتسمعين؟ من واجبكِ أن تلتحقي بالمسرح!

نينا: أوه، هذا حلمي! (تتنهد) ولكنه لن يتحقق أبدًا.

أركادينا: من يدري؟ اسمحي لي أن أقدِّم لك: تريجورين، بوريس أليكسييفتش.

نينا: آه، كم أنا مسرورة! (بارتباك) أنا أقرأ لكم دائمًا …

أركادينا (تجلسها قربها)**:** لا تخجلي يا عزيزتي. إنه مشهور ولكن روحه بسيطة. انظري ها هو نفسه قد ارتبك.

دورن: أظن أنه من الممكن الآن رفع الستار، وإلا فالجو مخيف.

شمرايف (بصوت عالٍ): ياكوف، ارفع الستار يا أخي! (يرتفع الستار.)

نينا (لتريجورين): أليست مسرحية غريبة حقًّا؟

تريجورين: أنا لم أفهم شيئًا. وعمومًا فقد تفرجت باستمتاع. أنت تلعبين بإخلاص. والديكور كان رائعًا.

(صمت.)

لا بد أن هناك سمكًا كثيرًا في هذه البحيرة.

نينا: نعم.

تريجورين: أنا أحب صيد السمك. ليس هناك بالنسبة لي متعة أكبر من الجلوس قبيل الغروب على الشاطئ والنظر إلى العوامة.

نينا: ولكني أظن أن من ذاق متعة الإبداع لن يلاحظ وجود أي متعٍ أخرى.

أركادينا (ضاحكة): لا تتحدثي هكذا. عندما تقال له كلمات طيبة فإنه يفشل.

شمرايف: أذكر في مسرح الأوبرا بموسكو ذات مرة غنى سيلفا المشهور نغمة «دو» منخفضة. وفي ذلك المساء، وكأنما عن عمد، كان يجلس في أعلى المسرح أحد منشدي المجمع الكنسي من طبقة «الباص» وفجأة، وتصوروا مدى ذهولنا البالغ، سمعنا من أعلى المسرح: برافو يا سيلفا! أخفض بأوكتاف كامل ... هكذا (بباص منخفض):

برافو يا سيلفا ... المسرح كله ذهل.

(صمت.)

دورن: حلَّق ملاك وئام.

نينا: آن أن أذهب. وداعًا.

أركادينا: إلى أين؟ إلى أين مبكرًا هكذا؟ لن نتركك.

نينا: بابا في انتظاري.

أركادينا: يا له من ... حقًّا ... (تتبادلان القبل) حسنًا، ما العمل. من المؤسف أن نتركك، يا للأسف!

نينا: آه لو تعلمين كم يشق عليَّ أن أرحل!

أركادينا: فليوصلك أحد ما يا صغيرتي.

نينا (بذعر): أوه، كلا، كلا!

سورين (لها، بضراعة)**:** ابقي!

نينا: لا أستطيع يا بيوتر نيكولايفتش.

سورين: ابقي لساعة واحدة وكفى. حقًّا ما هذا ...

نينا (بعد تفكير، من خلال الدموع)**:** لا يمكن! (تشدُّ على يده وتنصرف بسرعة.)

أركادينا: فتاة تعيسة في الحقيقة. يقال إن المرحومة أمها أوصت لزوجها بكل ثروتها الضخمة، حتى آخر كوبيك، وأصبحت هذه الفتاة الآن بلا مال؛ لأن أباها أوصى بكل شيء لزوجته الثانية. شيء محنق!

دورن: نعم، أبوها حيوان حقيقي، يجب أن نشهد له بذلك.

سورين (يفرك راحتَيه الباردتَين)**:** هيا بنا ننصرف نحن أيضًا يا سادة؛ فالجو أصبح رطبًا. ساقاي تؤلماني.

أركادينا: كأنهما من خشب، لا تكادان تتحرَّكان. حسنًا، هيا بنا أيها العجوز المنحوس (تتأبَّط ذراعه).

شمرايف (يمد ذراعه لزوجته)**:** مدام؟

سورين: أسمع عواء الكلب ثانية (لشمرايف) اصنع معروفًا يا إيليا أفناسيفتش، مُرْ بإطلاق سراحه.

شمرايف: لا يمكن يا بيوتر نيكولايفتش، أخشى أن يسطو اللصوص على مخزن الحبوب. لديَّ هناك ذرة عويجة (لمدفيدينكو السائر بجواره) نعم، أخفض بأوكتاف كامل: «برافو يا سيلفا!» رغم أنه ليس مغنيًا، بل منشد عادي في المجمع.

مدفيدينكو: وكم يبلغ راتب منشد المجمع؟

(يخرج الجميع ما عدا دورن.)

دورن (وحده)**:** لا أدري، ربما أنا لا أفقه شيئًا، أو أنني جننت، ولكن المسرحية أعجبتني. فيها ثمة شيء ما. عندما تحدثت هذه الفتاة عن الوحدة، ثم عندما ظهرت عينا الشيطان الحمراوان، ارتعشت يداي من الانفعال. إنها طازجة، ساذجة ... ها هو قادم فيما يبدو. أود أن أقول له الكثير من الكلمات السارة.

تريبليف (يدخل)**:** لم يعد هناك أحد.

دورن: أنا هنا.

تريبليف: ماشنكا تبحث عني في الحديقة كلها. يا لها من مخلوق مضجر!

دورن: قسطنطين جافريلوفتش، لقد أعجبتني مسرحيتك للغاية. إنها غريبة نوعًا ما، ولم أسمع نهايتها، ومع ذلك تترك انطباعًا قويًّا. أنت شخص موهوب، عليك أن تواصل.

(يشد تريبليف على يده بقوة ويعانقه باندفاع.)

أف، يا له من عصبي! دمعت عيناه ... أتدري ماذا أريد أن أقول؟ أنت طرقت موضوعًا في مجال الأفكار المجردة. وهذا هو المفروض؛ لأن العمل الأدبي ينبغي حتمًا أن يعبِّر عن فكرة كبيرة. الجاد وحده هو الرائع. كم أنت شاحب!

تريبليف: إذن تقول أن أواصل؟

دورن: نعم ... ولكن اكتب فقط عن الهام والخالد. أتدري، لقد عشتُ حياة متنوعة شيقة، وأنا راضٍ عنها، ولكن لو أني شعرت السمو الروحي الذي يتملَّك الفنانين أثناء الإبداع، لاحتقرت فيما يبدو قشرتي المادية وكل ما هو مميز لهذه القشرة، ولانطلقت بعيدًا عن الأرض محلقًا إلى العلا.

تريبليف: عفوًا، أين زاريتشنايا؟

دورن: وثمة شيء آخر. ينبغي أن تكون للعمل فكرة واضحة محددة. عليك أن تعرف لأي غرض تكتب، وإلا فلو سرت في هذا الدرب الجميل دون هدف محدد، فسوف تضل الطريق وتقضي عليك موهبتك.

تريبليف (بنفاد صبر)**:** أين زاريتشنايا؟

دورن: رحلت إلى البيت.

تريبليف (في يأس)**:** وماذا أفعل؟ أريد أن أراها ... لا بد أن أراها ... سأرحل.

(تدخل ماشا.)

دورن (لتريبليف)**:** اهدأ يا صديقي.

تريبليف: ومع ذلك سأرحل. عليَّ أن أرحل.

ماشا: ادخل إلى البيت يا قسطنطين جافريلوفتش. والدتك تنتظرك. إنها منفعلة.

تريبليف: قولي لها إني رحلت. وأرجوكم جميعًا، دعوني وشأني! دعوني وشأني! دعوني! لا تسيروا ورائي!

دورن: طيب، طيب، طيب يا عزيزي ... لا يصح هذا ... عيب.

تريبليف (من خلال الدموع)**:** وداعًا يا دكتور، أشكرك ...

(ينصرف.)

دورن (متنهدًا)**:** الشباب! الشباب!

ماشا: عندما لا يجدون ما يقولونه يقولون: الشباب، الشباب ... (تستنشق التبغ).

دورن (يأخذ منها علبة التبغ ويلقي بها في الخمائل)**:** هذا مقرف!

(صمت.)

يبدو أنهم يلعبون في المنزل. ينبغي أن نذهب.

ماشا: انتظر.

دورن: ماذا؟

ماشا: أريد أن أقول لك مرة أخرى. أريد أن أتحدث ... (بانفعال) أنا لا أحب أبي ... ولكن قلبي يميل إليك. لست أدري لماذا أحس من كل قلبي أنك قريب إليَّ ... فلتساعدني إذن. ساعدني إلا ارتكبت حماقة، وإلا سخرت من حياتي وأفسدتها ... لا أستطيع أن أطيق أكثر ...

دورن: ماذا؟ بمَ أساعدك؟

ماشا: إنني أعاني: لا أحد، لا أحد يدري بمعاناتي!

(تضع رأسها على صدره، تقول بصوت خافت) أنا أحب قسطنطين.

دورن: يا لكم جميعًا من عصبيين! يا لكم جميعًا من عصبيين! وكم من حب ... أوه، أيتها البحيرة المسحورة! (برقة) ماذا أستطيع أن أفعل يا صغيرتي؟ ماذا؟ ماذا؟

(ستار)

الفصل الثاني

(ميدان للكروكيت. في العمق إلى اليمين منزل بشرفة كبيرة وإلى اليسار ترى بحيرة تلمع الشمس المنعكسة فيها. أحواض زهور. الوقت ظهرٌ. الجو حار. إلى جانب الميدان، تحت ظلال زيزفونة عجوز تجلس أركادينا ودورن وماشا على أريكة. على ركبتَي دورن كتاب مفتوح.)

أركادينا (لماشا)**:** حسنًا، فلننهض.

(تنهضان معًا.)

قفي بجواري. أنت في الثانية والعشرين، وأنا في ضعف عمرك تقريبًا. يفجيني سرجييفتش، من منا تبدو أصبى؟

دورن: أنت طبعًا.

أركادينا: أرأيت ... فلماذا؟ لأنني أعمل، أشعر، أنا دائمًا أتحرك، أما أنتِ فتجلسين دائمًا في مكان واحد، ولا تعيشين ... كما أني أسير على قاعدة: ألا أنظر إلى المستقبل. أنا لا أفكر أبدًا لا في الشيخوخة ولا في الموت. المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين.

ماشا: أما أنا فأشعر وكأني ولدت منذ زمن بعيد. أجرجر حياتي كذيل فستان بلا نهاية ... وكثيرًا ما أشعر بعدم الرغبة في الحياة. (تجلس) بالطبع كل هذا هراء. ينبغي أن أنتفض، أن ألقي عني كل هذا.

دورن (يدندن بصوتٍ خافت)**:** «خبريها يا زهيراتي ...»[١]

[١] من أوبرا «فاوست» لجونو، دور زيجل. (المعرِّب)

أركادينا: ثم إني دقيقة كإنجليزي. أنا يا عزيزتي أمسك نفسي، كما يقولون، كوتر مشدود، ودائمًا مهندمة ومصففة Comme il faut.[٢] هل أسمح لنفسي بالخروج من البيت، ولو إلى هذه الحديقة، في البلوزة فقط وغير مصففة؟ أبدًا؛ لهذا حافظت على شبابي لأني لم أكن يومًا شعثاء ولم أهمل نفسي كما يفعل البعض ... (تضع يدَيها في خصرها وتذرع الميدان) انظروا، مثل الكتكوتة مستعدة أن ألعب ولو فتاة في الخامسة عشرة.

دورن: حسنًا، ومع ذلك فسأواصل (يتناول الكتاب) لقد توقفنا عند الحانوتي والعرسات ...

أركادينا: والعرسات. اقرأ (تجلس) كلا، هات، سأقرأ أنا. جاء دوري. (تأخذ الكتاب وتبحث فيه بعينَيها) والعرسات ... ها هي ... (تقرأ) «ومن المفهوم أن تدليل أفراد المجتمع الراقي للكتَّاب وجذبهم إليهم هو خطر عليهم، مثلما هو خطر على الحانوتي تربية عرسات في مخازنه. ومع ذلك فإنهم محبوبون. وهكذا، فعندما تختار المرأة الكاتب الذي تود أن تأسره، فإنها تحاصره بواسطة المجاملات والملاطفات والتودُّد ...» حسنًا، ربما كان هذا لدى الفرنسيين، أما عندنا فليس هناك أي شيء مثل هذا، ليس هناك أي برامج. المرأة عندنا كالعادة قبل أن تأسر الكاتب تكون قد غرقت في حبه إلى أذنَيها، صدقوني. ولماذا نذهب بعيدًا؟ خذوا مثلًا ولو أنا وتريجورين ...

(يسير سورين معتمدًا على عصاه، وبجواره نينا. مدفيدينكو يدفع خلفهما مقعدًا خاليًا.)

سورين (بنبرة كالتي يلاطفون بها الأطفال)**:** حقًّا؟ نحن مسرورون؟ نحن اليوم مرحون في نهاية الأمر؟ (لأخته) نحن مسرورون. الأب وزوجته رحلا إلى تفير، ونحن أحرار لثلاثة أيام كاملة.

نينا (تجلس إلى جوار أركادينا وتعانقها)**:** أنا سعيدة! أنا الآن تحت تصرُّفك.

سورين (يجلس في مقعده)**:** إنها اليوم حلوة.

أركادينا: أنيقة، جذابة ... شاطرة على ذلك. (تقبل نينا) ولكن لا ينبغي أن نمتدحك كثيرًا، وإلا خسرناك. أين بوريس أليكسييفتش؟

نينا: في المسبح، يصطاد السمك.

[٢] كما ينبغي (بالفرنسية في الأصل).

أركادينا: كيف لا يمل! (تود مواصلة القراءة.)

دورن: ماذا تقرئين؟

أركادينا: موباسان «فوق المياه» يا عزيزتي. (تقرأ عدة أسطر في سرها) حسنًا، المكتوب بعد ذلك ليس طريفًا أو صحيحًا. (تغلق الكتاب) أشعر في نفسي بالقلق. خبروني، ماذا يحدث لابني؟ لماذا هو كئيب وعابس هكذا؟ إنه يقضي أيامًا بطولها عند البحيرة، ولا أراه تقريبًا.

ماشا: هناك شيء يعذب روحه. (لنينا بوجل) أرجوك، اقرئي شيئًا من مسرحيته!

نينا (تهز كتفَيها)**:** أحقًّا تريدين؟ إنها مملة جدًّا!

ماشا (تكبت إعجابها)**:** عندما يقرأ هو شيئًا ما، تشتعل عيناه ويشحب وجهه. لديه صوت رائع، حزين. أما حركاته فمثل شاعر.

(يسمع شخير سورين.)

دورن: ليلة سعيدة!

أركادينا: بتروشا!

سورين: هه؟

أركادينا: أنت نائم؟

سورين: أبدًا.

(صمت.)

أركادينا: أنت لا تتعالج، لا يصح يا أخي.

سورين: بودي لو أتعالج، ولكن الدكتور لا يريد.

دورن: تتعالج في سن الستين!

سورين: حتى في الستين يود الإنسان أن يعيش.

دورن (بأسًى)**:** إيه! حسنًا، تناول قطرات فاليريانة.

أركادينا: أظن أنه من المفيد له أن يرحل إلى المنابع المعدنية.

دورن: طيب. يمكنه أن يرحل. ويمكنه ألَّا يرحل.

أركادينا: فلتحاول أن تفهم.

دورن: ليس هناك ما يفهم. كل شيء واضح.

(صمت.)

مدفيدينكو: من الواجب على بيوتر نيكولايفتش أن يقلع عن التدخين.
سورين: هراء.
دورن: كلا، ليس هراءً. الخمر والتبغ يطمسان الشخصية. فبعد السيجار أو كأس الفودكا لا تعود أنت بيوتر نيكولايفتش، بل بيوتر نيكولايفتش زائد أحد آخر. تتلاشى ذاتك الخاصة وعندها تنظر إلى نفسك نظرتك إلى شخص غائب ... هو.
سورين (يضحك)**:** بوسعك أن تتفلسف. لقد رأيتَ الكثير في حياتك، أما أنا؟ لقد خدمت في إدارة المحاكم ٢٨ سنة، ولكني لم أعِش بعد، لم أجرِّب شيئًا، وفي نهاية الأمر، وهذا شيء مفهوم، فأنا أتوق إلى الحياة. أنت شبعان ولا مبالٍ؛ ولذلك تميل إلى الفلسفة، أما أنا فأريد أن أعيش؛ ولذلك أشرب أثناء الغداء نبيذ «الخيريس» وأدخن السيجار وخلافه. تلك هي المسألة.
دورن: ينبغي أن ننظر إلى الحياة بجدية، أما أن تتعالج في سن الستين، وتأسف على أنك لم تتمتَّع في صباك بما يكفي، فهذا، وأرجو المعذرة، استهتار.
ماشا (تنهض)**:** أظنُّ حان موعد الإفطار (تسير بخطوة كسول متثاقلة) ساقي نملت ... (تنصرف).
دورن: ستذهب لتشرب كأسَين قبل الإفطار.
سورين: المسكينة محرومة من السعادة الخاصة.
دورن: هراء يا صاحب المعالي.
سورين: أنت تتحدث كشخصٍ شبعان.
أركادينا: آه، ما الذي يمكن أن يكون أكثر مللًا من هذا الملل الريفي اللطيف! الجو حار، هادئ، لا أحد يفعل شيئًا، الكل يتفلسفون ... الجلوس بينكم طيب يا أصدقاء، وسماعكم لطيف ولكن ... الجلوس في الفندق وحفظ الدور أفضل بكثير!
نينا (بإعجاب)**:** جميل! إنني أفهمك.
سورين: بالطبع في المدينة أحسن. تجلس في غرفة مكتبك، والحاجب لا يسمح لأحد بالدخول دون إذنك، والتليفون ... وفي الشارع الحوذية وخلافه ...
دورن (يدندن)**:** «خبريها يا زهيراتي ...»

(يدخل شمرايف، وتتبعه بولينا أندرييفنا.)

شمرايف: ها هم جماعتنا. طاب يومكم! (يلثم يد أركادينا ثم يد نينا) سعيد جدًّا برؤيتكم في كامل صحتكم (لأركادينا) وزوجتي تقول إنكِ تنوين الرحيل معها اليوم إلى المدينة. صحيح؟

أركادينا: نعم. ننوي.

شمرايف: إم … هذا رائع، ولكن كيف سترحلين يا سيدتي الموقرة؟ اليوم ينقلون الجودار وجميع العمال مشغولون. فعلى أي خيول إذن سترحلين لو سمحت بالسؤال؟

أركادينا: على أي خيول! ومن أين أعرف!

سورين: ولكن لدينا خيول عربات.

شمرايف (مضطربًا)**:** خيول عربات؟ ومن أين آتي بالنيور؟ من أين أحصل عليها؟ شيء عجيب! شيء غير معقول! يا سيدتي الموقَّرة! عفوًا، إنني أنحني أمام موهبتك، ومستعد أن أعطي من أجلك عشر سنوات من عمري، ولكني لا أستطيع أن أعطيكِ خيولًا!

أركادينا: ولكن إذا كان عليَّ أن أرحل؟ شيء غريب!

شمرايف: يا سيدتي الموقَّرة! أنتِ لا تعرفين ما معنى إدارة الممتلكات.

أركادينا (منفجرة)**:** نفس الحكاية القديمة! في هذه الحالة سأرحل إلى موسكو اليوم. مُر بتأجير خيول لي من القرية، وإلا ذهبت إلى المحطة على قدمي!

شمرايف (منفجرًا)**:** في هذه الحالة أقدم استقالتي! ابحثي لنفسك عن خولي آخر! (ينصرف).

أركادينا: كل صيف هكذا، كل صيف يهينونني هنا! لن أضع قدمي هنا بعد اليوم!

(تمضي يسارًا إلى حيث من المفترض أن يكون المسبح. ترى بعد دقيقة وهي تدخل المنزل وخلفها يسير تريجورين حاملًا سنانير ودلوًا.)

سورين (منفجرًا)**:** هذه وقاحة! الشيطان يعلم ما هذا! لقد مللت هذا في نهاية الأمر. هاتوا جميع الخيول هنا حالًا!

نينا (لبولينا أندرييفنا)**:** أيرفض طلب إيرينا نيكولايفنا، الممثلة الشهيرة! أليست أي رغبة من رغباتها، ولتكن حتى نزوة، أهم من كل ممتلكاتكم؟ غير معقول!

بولينا أندرييفنا (في يأس)**:** وماذا أستطيع؟ ضعي نفسك مكاني، ماذا بوسعي أن أفعل؟

سورين (لنينا)**:** فلنذهب إلى أختي … سنتوسَّل إليها كلنا ألَّا ترحل. أليس كذلك؟ (ينظر إلى الجهة التي مضى نحوها شمرايف) شخص لا يطاق! طاغية!

نينا (تمنعه من النهوض)**:** اجلس، اجلس ... سندفعك ...

(تدفع الكرسي المتحرك هي ومدفيدينكو.)

أوه، ما أفظع ذلك! ...
سورين: نعم، نعم، هذا فظيع ... ولكنه لن يستقيل، سأتحدث الآن معه.

(يخرجون. يبقى فقط دورن وبولينا أندرييفنا.)

دورن: الناس مملون. في الحقيقة ينبغي طرد زوجك شر طردة، ولكن كل شيء سينتهي بأن يعتذر إليه بيوتر نيكولايفتيش، هذه المرأة العجوز، هو وشقيقته. سترين!
بولينا أندرييفنا: حتى خيول العربات بعث بها إلى الحقل. وهذه الملابسات تحدث كل يوم. آه لو تعلم كم يثيرني ذلك! إنني أمرض، أترى ها أنا ذا أرتجف ... لن أقوى على تحمُّل فظاظته (بصوت ضارع) يفجيني يا عزيزي، أيها الغالي، خذني إليك ... عمرنا يولِّي، ولم تعد شبابًا، دعنا على الأقل في آخر العمر لا نتخفَّى، لا نكذب ...

(صمت.)

دورن: أنا الآن في الخامسة والخمسين، فات الأوان لتغيير حياتي.
بولينا أندرييفنا: أنا أعرف أنك تصدني لأن هناك نساءً غيري قريبات إليك. ولا يمكن أن تأخذهن جميعًا إليك. أنا أفهم. عفوًا أضجرتك.

(نينا تظهر قرب البيت. تقطف الزهور.)

دورن: لا، لا بأس.
بولينا أندرييفنا: أنا أعاني من الغيرة. طبعًا أنت طبيب، ولا تستطيع أن تتحاشى النساء. أنا أفهم ...
دورن (لنينا التي اقتربت)**:** كيف الحال هناك؟
نينا: إيرينا نيكولايفنا تبكي، أما بيوتر نيكولايفتش فلديه أزمة ربو.
دورن (ينهض)**:** سأذهب لأعطيهما معًا قطرات فاليريانة ...
نينا (تقدم له الزهور)**:** تفضل!
دورن: Merci bien (يذهب إلى المنزل).

بولينا أندرييفنا (تذهب معه)**:** ما أرقها من أزهار! (قرب المنزل بصوت أصم) أعطني هذه الأزهار! أعطني هذه الأزهار! (تأخذها فتمزقها وتلقي بها جانبًا).

(يدخلان المنزل معًا.)

نينا (وحدها)**:** ما أغرب أن ترى ممثلة مشهورة تبكي، ولسبب تافه كهذا! وأليس من الغريب أن هذا الكاتب المعروف، معشوق الجماهير، الذي تكتب عنه جميع الصحف، وتباع صوره، ويترجم إلى اللغات الأجنبية، يقضي النهار كله في صيد السمك، بل ويفرح لأنه اصطاد سمكتَين صغيرتَين. كنت أظن أن المشاهير أعزاء، لا يمكن بلوغهم، وأنهم يحتقرون الجمهور، وكأنما بشهرتهم وبريق أسمائهم ينتقمون منه جزاءً على أنه يضع عراقة النسب والثروة فوق كل شيء. ولكن ها هم يبكون، ويصيدون السمك، ويلعبون الورق، يضحكون ويغضبون كبقية الناس.

تريبليف (يدخل بدون قبعة، ببندقية ونورس مقتول)**:** أنت هنا وحدك؟

نينا: وحدي.

(تريبليف يضع النورس تحت قدمَيها.)

ما معنى هذا؟

تريبليف: ارتكبت اليوم دناءة بقتل هذا النورس. ها أنا ذا أضعه تحت قدمَيك.

نينا: ماذا بك؟ (ترفع النورس وتتفحصه)

تريبليف (بعد فترة صمت)**:** قريبًا أقتل نفسي بهذه الصورة.

نينا: أنا لا أكاد أعرفك.

تريبليف: نعم، بعد أن أصبحتُ لا أتعرف عليك. لقد تغيرت نحوي، ونظرتك باردة، وحضوري يثقل عليك.

نينا: لقد أصبحتَ عصبيًّا في الأيام الأخيرة، تتحدث دائمًا بصورة غير مفهومة، برموز ما. وهذا النورس أيضًا يبدو رمزًا، ولكني، عفوًا، لا أفهم ... (تضع النورس على الأريكة) أنا أبسط من أن أفهمك.

تريبليف: بدأ هذا من ذلك المساء الذي فشلت فيه مسرحيتي بتلك الصورة الحمقاء. النساء لا يغفرن الفشل. لقد أحرقت كل شيء، كل شيء حتى آخر مزقة. آه لو تدرين كم أنا تعيس! برودك نحوي رهيب، غير معقول، كأنما استيقظت فإذا بي أرى هذه البحيرة

قد جفت فجأة أو غاض ماؤها. لقد قلت لتوك إنك أبسط من أن تفهميني. أوه، ما الذي لا يمكن فهمه؟! المسرحية لم تعجبك، أنت تحتقرين إلهامي، أصبحت تعتبرينني عاديًّا، تافهًا، مثل كثيرين آخرين ... (يدق بقدمه) كم أفهم ذلك جيدًا، كم أفهمه! كأنما في دماغي مسمار، عليه اللعنة هو وغروري الذي يمص دمي، يمصه كثعبان ... (يرى تريجورين الذي يسير وهو يقرأ كتابًا) ها هي موهبة حقيقية تسير؛ يخطو كهاملت، وأيضًا يحمل كتابًا (مغيظًا) «كلمات، كلمات، كلمات ...»، هذه الشمس لم تصل إليك بعد بينما رحت تبسمين، وذابت نظرتك في أشعتها، لن أثقل عليكما (ينصرف بسرعة).

تريجورين (يسجل في المفكرة)**:** تتعاطى السعوط وتشرب الفودكا ... دائمًا في ثوب أسود. المدرس يحبها.

نينا: مرحبًا يا بوريس أليكسييفتش!

تريجورين: مرحبًا. تغيرت الظروف فجأة بحيث يبدو أننا سنسافر اليوم. لا أظن أننا سنلتقي مرة أخرى. وهذا مؤسف. أنا لا يتسنى لي كثيرًا أن أقابل فتيات شابات، شابات وممتعات، لقد نسيت ولا أستطيع أن أتصور بوضوح أحاسيس من في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة؛ ولذلك تبدو الفتيات الشابات في رواياتي وقصصي عادة مزيفات. كم وددت لو أصبحت مكانك ولو ساعة واحدة لكي أعرف كيف تفكرين، وعمومًا لأعرف أي شيء أنت.

نينا: أما أنا فأود لو أصبح مكانك.

تريجورين: لماذا؟

نينا: لكي أعرف إحساس الكاتب الموهوب المشهور. ما هو الإحساس بالشهرة؟ كيف تحس بشهرتك؟

تريجورين: كيف؟ يبدو أنني لا أحس بها. لم أفكر في ذلك أبدًا. (بعد تفكير) أحد أمرَين: إما أنكِ تبالغين في شهرتي، أو أنها عمومًا غير محسوسة.

نينا: وإذا قرأت ما تكتبه الصحف عنك؟

تريجورين: عندما يمتدحونني أشعر بالسرور، وعندما يذمونني أظل يومَين بعدها معتل المزاج.

نينا: عالم ساحر! آه لو تدري كم أغبطك! حظوظ الناس مختلفة. البعض يتخبطون في حياة مملة، غير ملحوظة، وكلهم متشابهون، كلهم تعساء. والبعض الآخر، أنت مثلًا، أنت واحد في المليون، أصبح من نصيبه حياة شيقة، مشرقة مفعمة بالمعنى ... أنت سعيد ...

تريجورين: أنا؟ (يهز كتفَيه) هم ... أنت تتحدَّثين عن الشهرة، عن السعادة، وعن حياة ما مشرفة، شيقة، أما بالنسبة لي فكل هذه الكلمات الطيبة، عفوًا، ليست سوى حلوى المرملاد التي لا أتناولها أبدًا. أنت شابة جدًّا وطيبة جدًّا.

نينا: حياتك رائعة!

تريجورين: وما هو الرائع فيها؟ (يتطلع إلى ساعته) ينبغي عليَّ أن أمضي الآن لأكتب. عفوًا، أنا مشغول ... (يضحك) أنت، كما يقال، لمست أحد أوتاري الحساسة وها أنا ذا قد بدأت أنفعل وأغضب قليلًا. وعمومًا فلنتحدث. سنتحدث عن حياتي الرائعة المشرقة ... حسنًا، بمَ نبدأ؟ (يفكر قليلًا) هناك تصورات قسرية، عندما يظل الإنسان يفكر ليل نهار في القمر مثلًا، وأنا أيضًا لديَّ مثل هذا القمر. فليل نهار تطاردني فكرة واحدة لا فكاك منها: ينبغي أن أكتب، ينبغي أن أكتب، ينبغي ... وما إن أنتهي من رواية حتى يتوجَّب عليَّ، لسبب ما، أن أكتب ثانية، فثالثة، وبعد الثالثة رابعة ... أكتب بلا انقطاع، دون توقف، ولا يمكنني إلا هكذا. فأي شيء رائع ومشرق في ذلك، إنني أسألك؟ أوه، يا لها من حياة فظيعة! ها أنا ذا الآن معك، منفعل، ومع ذلك لا أنسى لحظة واحدة أن هناك في انتظاري رواية لم تكتمل. ها أنا ذا أرى سحابة تشبه المعزف. فأقول لنفسي: ينبغي أن أشير في إحدى القصص القادمة إلى أنه قد مرَّت سحابة تشبه المعزف. وتفوح رائحة رقيب الشمس. وعلى الفور ألاحظ لنفسي: رائحة حلوة لاذعة، لون أرملي، تجب الإشارة إليه عند وصف أمسية صيفية. أترصد كل عبارة أقولها أو تقولينها، وأسارع بحبس كل هذه العبارات والكلمات في مخزني الأدبي ... ربما تنفع! عندما أفرغ من العمل أركض إلى المسرح أو لصيد السمك. وهنا ينبغي أن أستريح وأركن إلى النسيان، ولكن لا، ففي رأسي تبدأ في الدوران كرة حديدية ثقيلة: موضوع جديد، ويروح يشدني إلى المكتب، ولا بد من الإسراع إلى الكتابة والكتابة مرة أخرى. وهكذا دائمًا، دائمًا، ولا راحة لي من ذاتي، وأشعر أنني ألتهم حياتي، وأنه من أجل العسل الذي أقدمه لمجهول في الفراغ فإنني أسلب أفضل أزهاري رحيقها، وأمزق الزهور نفسها وأدوس جذورها. أفلست مجنونًا؟ وهل يعاملني أهلي ومعارفي معاملتهم لشخص سليم؟ «ماذا تكتبون؟ ماذا ستهدوننا؟» دائمًا نفس الشيء، ويخيل إليَّ أن اهتمام المعارف والمديح والإعجاب ... كل ذلك خداع، يخدعونني كمريض، وأحيانًا أخشى أن يتسللوا من خلفي فجأة فيمسكوا بي، ويحملوني مثل بوبريشين[٣] إلى مستشفى المجاذيب. أما في تلك

[٣] بوبريشين هو بطل قصة «مذكرات مجنون» للكاتب الروسي المعروف نيقولاي جوجول (١٨٠٩–١٨٥٢م). (المعرِّب)

السنوات؛ سنوات الشباب، أجمل السنوات، عندما بدأت، كانت الكتابة بالنسبة لي محض عذاب. فالكاتب الصغير، خاصة عندما يكون سيئ الحظ، يبدو لنفسه أخرق، مضطربًا، زائدًا عن الحاجة، وأعصابه متوترة، مرهقة. وتراه يحوم مشدودًا حول الأشخاص ذوي العلاقة بالأدب والفن، غير معترف به، غير مُلْتَفت إليه، يخشى أن ينظر مباشرة وبجرأة في الأعين، كأنما مقامر ولوع لا نقود لديه. أنا لم أرَ قارئي، ولكني تصورته في خيالي لسبب ما عدائيًّا، مستريبًا. كنت أخشى الجمهور، كان مرعبًا بالنسبة لي، وعندما تقدم لي مسرحية جديدة كان يخيل إليَّ في كل مرة أن ذوي الشعر الأسود يقفون موقفًا عدائيًّا، أما الشقر فلا مبالون ببرود. أوه ما أفظع ذلك! يا له من عذاب كان!

نينا: عفوًا، ولكن ألا يمنحك الإلهام وعملية الإبداع ذاتها لحظات سامية سعيدة؟

تريجورين: بلى. عندما أكتب أشعر بالسرور، وقراءة البروفات أيضًا سارة، ولكن ... ما إن يخرج العمل من المطبعة حتى لا أعود أطيقه، وأرى بالفعل أنه ليس المطلوب، أنه غلطة، وما كان ينبغي أن أكتبه أصلًا، فأشعر بالأسى، ويتملَّك روحي القرف ... (ضاحكًا) أما الجمهور فيقرأ: «نعم، لطيف، موهوب ... لطيف ولكن شتان بينه وبين تولستوي.» أو «قصة رائعة، ولكن «الآباء والأبناء» لتورجينيف أحسن.» وهكذا حتى الممات سيظل كل شيء لطيفًا وموهوبًا فقط، لطيفًا وموهوبًا ولا شيء أكثر، وبعد أن أموت سيقول المعارف وهم يمرون بقبري:

«هنا يرقد تريجورين. كان كاتبًا جيدًا، لكنه كان يكتب أسوأ من تورجينيف.»

نينا: عفوًا، إنني لا أستطيع أن أفهمك. لقد أفسدك النجاح.

تريجورين: أي نجاح؟ أنا لم أعجب نفسي أبدًا. أنا لا أحب نفسي ككاتب. أسوأ ما في الأمر أنني في دخان ما وكثيرًا ما لا أفهم ما أكتب ... إنني أحب هذه المياه، والأشجار، والسماء، وأحس بالطبيعة، وهي تثير في نفسي العواطف والرغبة العارمة في الكتابة، ولكني لست مجرد راسم مناظر، بل مواطن أيضًا، أحب وطني وشعبي، وأشعر أنني ما دمت كاتبًا، فلزام عليَّ أن أتحدث عن الشعب عن آلامه، عن مستقبله، أتحدث عن العلم، عن حقوق الإنسان وغيرها وغيرها، فأتحدث عن كل ذلك، وأتعجل، ومن جميع الجهات يستعجلونني، ويغضبون مني، فأركض من ركن إلى ركن، كالثعلب الذي تطارده الكلاب، وأرى أن الحياة والعلم يتقدمان حثيثًا إلى الأمام، أما أنا فأتخلف عنهما أكثر فأكثر، كالفلاح الذي تأخر عن القطار. وفي نهاية الأمر أشعر أنني لا أجيد سوى تصوير المناظر، وفي كل ما عداه فأنا مزيف، مزيف حتى النخاع.

نينا: لقد استغرقك العمل، فلم يعد لديك وقت أو رغبة في إدراك قيمتك. فلتكن غير راضٍ عن نفسك، ولكنك بالنسبة للآخرين عظيم ورائع! لو كنت أنا كاتبة مثلك لوهبت الجمهور كل حياتي، ولكني كنت أظل أدرك أن سعادته الوحيدة هي أن يرقى إليَّ، ولحملني الجمهور على عجلة.

تريجورين: هه، عجلة ... وهل أنا أجاممنون أم ماذا؟

(يبتسمان كلاهما.)

نينا: من أجل سعادة أن أكون كاتبة أو ممثلة أنا مستعدة أن أتحمل كراهية الأقارب، والفاقة، وخيبة الأمل، أن أعيش في غرفة سطح وآكل الخبز الأسود فقط، أن أعاني من عدم الرضا عن النفس ومن إدراك عيوبي، ولكن في مقابل ذلك كنت أطالب بالشهرة ... الشهرة الحقيقية، الصاخبة ... (تغطي وجهها بيدَيها) رأسي يدور ... أف! ...

صوت أركادينا (من المنزل)**:** يا بوريس أليكسييفتش!

تريجورين: ينادونني ... يبدو لترتيب الحقائب. لا أريد أن أرحل. (يتطلع إلى البحيرة) يا لها من روعة! ... جميل!

نينا: أترى ذلك البيت والحديقة على الشاطئ الآخر؟

تريجورين: نعم.

نينا: إنها ضيعة المرحومة أمي. أنا وُلدت هناك. قضيت حياتي كلها بجوار هذه البحيرة وأعرف كل جزيرة صغيرة فيها.

تريجورين: ما أروع المكان هنا! (يرى النورس) وما هذا؟

نينا: نورس. قتله قسطنطين جافريليتش.

تريجورين: طائر جميل. حقًّا لا أرغب في الرحيل. هيا أقنعي إيرينا نيكولايفنا بالبقاء (يدوِّن في مفكرته).

نينا: ماذا تكتب؟

تريجورين: هكذا، أسجل ... موضوع خطر لي ... (يخفي المفكرة) موضوع لقصة قصيرة: على شاطئ بحيرة تعيش منذ الصبا فتاة شابة، مثلك، تحب البحيرة كالنورس، وهي سعيدة، حرة كالنورس، ولكن جاء شخص صدفة فرآها، ومن الفراغ قضى عليها كما قضى على هذا النورس.

(صمت.)

(تلوح أركادينا في النافذة.)

أركادينا: بوريس أليكسيفتش، أين أنت؟
تريجورين: حالًا! (يمضي وهو يتلفت نحو نينا. عند النافذة، لأركادينا) ماذا؟
أركادينا: سنبقى.

(تريجورين يدخل المنزل.)

نينا (تقترب من مقدمة الخشبة. بعد فترة تفكير)**:** حلم!

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة الطعام في منزل سورين. من اليمين واليسار بابان، صوان بوفيه. صوان أدوية. في وسط الغرفة طاولة. حقيبة وعلب كارتون. آثار الاستعداد للرحيل ظاهرة. تريجورين يفطر، وماشا تقف بجوار الطاولة.)

ماشا: كل هذا أرويه لك ككاتب. يمكنك أن تستخدمه. أقول لك عن صدق: لو أنه جرح نفسه جرحًا خطيرًا لما عشت لحظة واحدة، ولكني شجاعة مع ذلك. ها قد قررت: سأنزع هذا الحب من قلبي، سأنزعه من جذوره.

تريجورين: بأي طريقة؟

ماشا: سأتزوج من مدفيدينكو.

تريجورين: من المدرس؟

ماشا: نعم.

تريجورين: لا أفهم، ما الداعي؟

ماشا: لا معنى للحب بلا أمل، وانتظار شيء ما سنوات طويلة ... ما إن أتزوج حتى لا يعود هناك وقت للحب، الهموم الجديدة ستطغى على كل القديم. ثم إنه، رغم كل شيء، تغيير. ألا نكرر؟

تريجورين: ألن يكون كثيرًا؟

ماشا: ماذا تقول؟! (تصبُّ كأسَين) لا تنظر إليَّ هكذا. النساء يشربن أكثر مما تظن، الأقلية يشربن علانية، مثلي، أما الأغلبية فسرًّا. نعم. ويشربن في الأغلب فودكا أو كونياك. (تقرع كأسها بكأسه) تمنياتي! أنت رجل بسيط، ومن المؤسف فراقك.

(يشربان.)

تريجورين: أنا نفسي لا أرغب في الرحيل.

ماشا: فلتطلب منها أن تبقى.

تريجورين: كلا، الآن لن تبقى. ابنها أصبح سلوكه بعيدًا عن أي لباقة. مرة أطلق النار على نفسه، والآن يقال إنه ينوي دعوتي للمبارزة. فلأي غرض؟ يغضب، ويبدي سخطه، ويدعو لأشكال جديدة ... حسنًا، ولكن هناك متسع لها جميعًا. الجديدة والقديمة، فلماذا التزاحم؟

ماشا: ثم الغيرة منك. وعمومًا فليس هذا شأني.

(صمت.)

(ياكوف يمر من اليسار حاملًا حقيبة، تدخل نينا وتتوقف عند النافذة.)

مدرسي هذا ليس كبير الذكاء ولكنه رجل طيب وفقير، ويحبني جدًّا، أنا أرثي له. وأرثي لأمه العجوز. حسنًا، دعني أتمنى لك كل خير. لا تذكرني بسوء. (تصافحه بقوة) ممتنة لك جدًّا على حسن معاملتك. فلترسل لي كتبك، وعليها إهداء حتمًا، لكن لا تكتب «الموقرة» بل ببساطة: «إلى ماريا التي لا تذكر القرابة والتي لا يُعرف لأي غرض تعيش في هذه الدنيا.» وداعًا! (تنصرف).

نينا (تمد نحو تريجورين يدها بقبضة مضمومة)**:** فردي أم زوجي؟

تريجورين: زوجي.

نينا (متنهدة)**:** كلا. ليس في يدي غير حبة واحدة. وقد خمنت لنفسي: هل أتجه نحو التمثيل أم لا؟ لو ينصحني أحد.

تريجورين: هنا لا يمكن النصح.

(صمت.)

نينا: إننا نفترق و... على الأرجح لن نلتقي أبدًا. أرجو أن تقبل مني للذكرى هذه الميدالية الصغيرة. لقد أمرت بحفر الأحرف الأولى من اسمك عليها ... ومن هذه الناحية عنوان روايتك «الأيام والليالي».

تريجورين: يا لها من رشيقة! (يقبِّل الميدالية) هدية ساحرة!

نينا: تذكَّرْني أحيانًا.

تريجورين: سأتذكر. سأتذكرك كما كنت في ذلك اليوم المشرق، أتذكرين؟ منذ أسبوع، عندما كنت في فستان فاتح ... تحدثنا آنذاك ... وعلى الأريكة كان ممددًا نورس أبيض.

نينا (مستغرقة في التفكير)**:** نعم، نورس …

(صمت.)

لا يمكننا مواصلة الحديث، إنهم قادمون … قبيل السفر أعطني دقيقتَين، أتوسل إليك … (تنصرف يسارًا).

(يدخل من اليمين دفعة واحدة أركادينا وسورين مرتديًا حلة رسمية بنجمة، ثم ياكوف المهموم بترتيب المتاع.)

أركادينا: ابقَ أيها العجوز هنا. إلى أين تريد الذهاب بروماتيزمك هذا؟ (لتريجورين) من الذي خرج من هنا؟ نينا؟

تريجورين: نعم.

أركادينا: Pardon، أزعجناكما … (تجلس) يبدو … رتبت كل شيء. تعبت للغاية.

تريجورين (يقرأ على الميدالية)**:** «الأيام والليالي» صفحة ١٢١ السطران ١١، ١٢.

ياكوف (ينظف الطاولة)**:** أتأمرون بجمع السنانير أيضًا؟

تريجورين: نعم، سأحتاج إليها. أما الكتب فأعطها لأي شخص.

ياكوف: حاضر.

تريجورين (لنفسه)**:** صفحة ١٢١، السطران ١١، ١٢، ترى ماذا في هذَين السطرَين؟ (لأركادينا) هل توجد مؤلفاتي هنا في البيت؟

أركادينا: عند أخي في مكتبه، في الصوان الركني.

تريجورين: صفحة ١٢١ … (ينصرف)

أركادينا: حقًّا يا بتروشا، فلتبقَ في البيت …

سورين: أنتم راحلون، سأشعر بالكآبة بدونكم هنا.

أركادينا: وماذا في المدينة؟

سورين: لا شيء ذو أهمية، ومع ذلك (يضحك) سيضعون حجر الأساس لمبنى مجلس الإقليم وخلافه … أريد ولو لساعة أو ساعتَين أن أنفض عني هذه الحياة التافهة؛ فقد بقيت ملقًى كمبسم سجاير قديم. أمرت بتجهيز الخيول في الساعة الواحدة، سنرحل معًا.

أركادينا (بعد فترة صمت)**:** حسنًا. ابقَ هنا ولا تضجر، لا تمرض. راقب ابني. حافظ عليه. أرشده.

(صمت.)

ها أنا ذا أرحل دون أن أعرف لماذا أطلق قسطنطين النار على نفسه. يبدو لي أن السبب الرئيسي كان الغيرة، وكلما أسرعت بإبعاد تريجورين عن هنا كان أفضل.

سورين: ماذا أقول لك؟ كانت هناك أسباب أخرى. شيء مفهوم؛ فهو شاب، ذكي، يعيش في قرية، في ركن معزول، بلا نقود، بلا مركز، بلا مستقبل. بدون أي عمل. يخجل من فراغه ويخشاه. إنني أحبه للغاية، وهو أيضًا متعلق بي، ومع ذلك، وفي نهاية الأمر، يبدو له أنه زائد عن الحاجة في البيت، وأنه طفيلي، عالة. شيء مفهوم، عزة النفس ...

أركادينا: يا ويلي منه! (مستغرقة في التفكير) ربما ينبغي أن يلتحق بوظيفة ...

سورين (مصفرًا، ثم بتردد)**:** يبدو لي أن أفضل شيء لو أنك ... أعطيته بعض النقود. فقبل كل شيء هو بحاجة إلى ملابس تليق بإنسان وخلافه. انظري، إنه لا يخلع عنه هذه البدلة الحقيرة ثلاث سنوات، وليس لديه معطف ... (يضحك) ثم إن الشاب بحاجة إلى التسلية قليلًا ... ربما يستحسن أن يسافر إلى الخارج ... هذا لا يكلف كثيرًا.

أركادينا: بل يكلف ... ربما أقدر على البدلة، أما السفر إلى الخارج ... كلا، الآن لا أقدر حتى على البدلة. (بحزم) ليس لديَّ نقود!

(سورين يضحك.)

ليس لديَّ!

سورين (مصفرًا)**:** هكذا. عفوًا يا عزيزتي، لا تغضبي. أنا أصدقك ... أنت امرأة سمحة، نبيلة.

أركادينا (من خلال الدموع)**:** ليس لديَّ نقود!

سورين: لو كان لديَّ نقود لأعطيته، هذا مفهوم، ولكني لا أملك شيئًا، ولا خردة. (يضحك) كل معاشي يستولي عليه الخولي وينفقه على الزراعة، وتربية المواشي، وتربية النحل، وتضيع نقودي هباءً؛ فالنحل ينفق، والأبقار تنفق، أما الخيول فلا يقدمونها لي أبدًا ...

أركادينا: نعم، أنا لديَّ نقود، ولكني ممثلة. الأزياء وحدها أفلستني تمامًا.

سورين: أنت طيبة، رقيقة ... أنا أحترمك ... نعم ... ولكني أشعر ثانية بذلك الـ... (يترنح) رأسي يدور. (يتشبث بالطاولة) أشعر بدوار وخلافه.

أركادينا (بذعر)**:** بتروشا! (تحاول إسناده) بتروشا يا عزيزي ... (تصرخ) ساعدوني! ساعدوني! ...

(يدخل تريبليف معصوب الرأس، ومدفيدينكو لديه إغماء!)

سورين: لا بأس، لا بأس … (يبتسم ويشرب ماءً) انتهى كل شيء … وخلافه …

تريبليف (لأمه)**:** لا تخافي يا ماما، هذا ليس خطيرًا. أصبح ذلك يحدث له كثيرًا. (لخاله) يلزمك أن ترقد في الفراش يا خالي.

سورين: قليلًا، نعم … ومع ذلك سأذهب إلى المدينة … سأرقد قليلًا ثم أسافر … شيء مفهوم … (يسير معتمدًا على عصًا).

مدفيدينكو (يقوده من تحت إبطه)**:** اسمع هذا اللغز: في الصباح يسير على أربع، وفي الظهر على اثنتَين، وفي المساء على ثلاث …

سورين (يضحك)**:** بالضبط. وفي الليل على ظهره. أشكرك، أستطيع أن أمشي بنفسي …

مدفيدينكو: دعك من الكلفة!

(ينصرف مع سورين.)

أركادينا: كم أفزعني!

تريبليف: الحياة في الريف ضارة بصحته. إنه يشعر بالوحشة. لو أنك يا ماما تكرمت عليه وأقرضته حوالي ألف وخمسمائة أو ألفَين، لاستطاع أن يعيش في المدينة عامًا كاملًا.

أركادينا: ليس لديَّ نقود. أنا ممثلة ولست بنكيرة.

(صمت.)

تريبليف: ماما، غيِّري لي الضمادة. أنت تجيدين ذلك.

أركادينا (تستخرج من الصوان اليودفورم ودرجًا به مواد التضميد)**:** لقد تأخر الدكتور.

تريبليف: وعد أن يأتي في العاشرة، وها نحن الآن في الضحى.

أركادينا: اجلس (تنزع الضمادة عن رأسه) كأنك ترتدي عمامة. بالأمس في المطبخ سأل أحد الوافدين عن جنسيتك. جرحك التأم تقريبًا. لم يبقَ إلا شيء بسيط (تقبِّل رأسه) ألن تعود إلى هذا في غيابي؟

تريبليف: نعم يا ماما. كانت تلك لحظة يأس جنوني لم أتمالك فيها نفسي. هذا لن يتكرر. (يقبِّل يدها) يداك ماهرتان. أذكر منذ عهدٍ بعيدٍ — عندما كنت تعملين في مسرح

حكومي وكنت أنا صغيرًا آنذاك — وقع شجار في فنائنا، وضربوا بشدة غسالة من ساكنات البيت. أتذكرين؟ رفعوها فاقدة الوعي ... وكنت تتردَّدين عليها، وتحملين لها الأدوية، وتحمِّمين في الطست أطفالها. أحقًّا لا تذكرين؟

أركادينا: كلا (تضع ضمادة جديدة).

تريبليف: كانت تقطن راقصتا باليه أيضًا في نفس المنزل الذي كنا نقطنه ... كانتا تزورانك لشرب القهوة ...

أركادينا: أذكر هذا.

تريبليف: وكانتا، كما أذكر، تقيتَين.

(صمت.)

في الآونة الأخيرة، في هذه الأيام، أحبك برقة وتفانٍ كما كنت أحبك في الطفولة. لم يعُد لديَّ الآن أحد سواك. ولكن لماذا، لماذا وقف بيني وبينكِ هذا الرجل؟

أركادينا: أنت لا تفهمه يا قسطنطين. إنه من أنبل الناس ...

تريبليف: بيد أنه عندما أبلغوه أنني أنوي تحدِّيه في مبارزة لم يمنعه النبل من أن يظهر جبنه. يسافر. هروب مزرٍ!

أركادينا: يا للهراء! أنا التي أبعده عن هنا. وإن علاقتنا لا يمكن أن تعجبك بالطبع، ولكنك ذكي ومهذب، ومن حقي أن أطالبك بأن تحترم حريتي.

تريبليف: أنا أحترم حريتك، ولكن اسمحي لي في المقابل أن أكون حرًّا وأنظر إلى هذا الشخص كما أريد. من أنبل الناس! ها نحن نكاد نتشاجر بسببه، أما هو فيجلس في مكان ما، في غرفة الجلوس أو في الحديقة ويضحك مني ومنك، وينوِّر نينا ويحاول أن يقنعها نهائيًّا بأنه عبقري.

أركادينا: إنك تجد متعة في إيذائي. أنا أحترم هذا الرجل وأرجو ألَّا تتحدث عنه بسوء في حضوري.

تريبليف: أما أنا فلا أحترمه. أنت أيضًا تريدينني أن أعتبره عبقريًّا، آسف، إنني لا أجيد الكذب، وقصصه ترفضها روحي.

أركادينا: هذا حسد. الأشخاص المجردون من الموهبة ولكن يدَّعونها، لا يبقى أمامهم إلا أن يعيبوا المواهب الحقيقية. يا لها من سلوى بائسة!

تريبليف (بسخرية)**:** المواهب الحقيقية! (بغضب) أنا أكثر موهبةً منكم جميعًا إذا أردت الحقيقة! (ينزع الضمادة عن رأسه) أنتم الروتينيون، قد استوليتم على السبق في الفن

ولا تعتبرون مشروعًا وحقيقيًّا إلا ما تصنعونه أنتم، وما عدا ذلك تضطهدونه وتخنقونه! أنا لا أعترف بكم! لا أعترف لا بك ولا به!

أركادينا: عبثي! …

تريبليف: اذهبي إلى مسرحك اللطيف ومثِّلي هناك في مسرحياتك الحقيرة الفاشلة!

أركادينا: أنا لم أمثل أبدًا في مسرحيات كهذه. دعني! أنت غير قادر حتى على كتابة فودفيل تافه. أيها الضيق الأفق! أيها العالة!

تريبليف: يا مقتِّرة!

أركادينا: أيها الشحاذ!

(تريبليف يجلس ويبكي في صمت.)

أيها التافه! (تذرع الغرفة بانفعال) لا تبكِ. لا داعيَ للبكاء … (تبكي) لا داعي … (تلثم جبينه وخدَّيه ورأسه) يا طفلي العزيز، اعذرني … اعذر أمك الخاطئة. اعذرني أنا التعيسة.

تريبليف (يعانقها)**:** آه لو تدرين! لقد فقدتُ كل شيء. إنها لا تحبني، ولم أعد قادرًا على الكتابة … ضاعت كل أحلامي …

أركادينا: لا تيئس … كل شيء سيعود. الآن سأحمله فتعود هي إلى حبك (تمسح دموعه) كفى. لقد تصالحنا.

تريبليف (يلثم يدَيها)**:** نعم يا ماما.

أركادينا (برقة)**:** تصالح معه أيضًا … لا داعي للمبارزة … لا داعي، أليس كذلك؟

تريبليف: حسنًا … لكن أرجوك يا ماما، أنا لا أريد أن أقابله.
هذا صعب عليَّ … فوق طاقتي …

(يدخل تريجورين.)

طيب … سأخرج (يضع الأدوية في الصوان بسرعة).
الضمادة سيضعها لي الدكتور …

تريجورين (يفتش في الكتاب)**:** الصفحة ١٢١، السطران ١١، ١٢ … ها هما … (يقرأ) «إذا احتجت إلى حياتي في وقت ما، تعال وخذها.»

(يرفع تريبليف الضمادة من الأرض وينصرف.)

أركادينا (تنظر إلى الساعة)**:** سيحضرون الخيول قريبًا.

تريجورين (لنفسه)**:** إذا احتجت إلى حياتي في وقت ما، تعالَ وخذها.

أركادينا: هل كل أمتعتك جاهزة؟

تريجورين (بنفاد صبر)**:** نعم، نعم ... (مستغرقًا في التفكير) لماذا أحسست بالحزن في هذا النداء من روح طاهرة، وانقبض قلبي متألمًا هكذا؟ ... إذا احتجت إلى حياتي في وقت ما، تعال وخذها. (لأركادينا) فلنبقَ يومًا آخر!

(أركادينا تهز رأسها سلبًا.)

لنبقَ!

أركادينا: أيها العزيز، أنا أعرف ما الذي يشدك هنا، لكن تمالك نفسك. أنت ثمل قليلًا، أفق.

تريجورين: أفيقي أنت أيضًا، وكوني ذكية، عاقلة، أتوسل إليك، انظري إلى كل ذلك نظرة صديق حقيقي ... (يضغط على يدها) أنت قادرة على التضحية ... كوني صديقي، واتركيني ...

أركادينا (بانفعال شديد)**:** هل أنت عاشق هكذا؟

تريجورين: إنها تجذبني! ربما كان ذلك هو بالضبط ما أحتاجه.

أركادينا: حب فتاة ريفية؟ أوه إنك لا تعرف نفسك!

تريجورين: أحيانًا ينام الناس وقوفًا، وهكذا أتحدث إليك وأشعر وكأني نائم وأراها في الحلم ... اتركيني ...

أركادينا (ترتعش)**:** كلا، كلا ... أنا امرأة عادية، لا ينبغي أن تتحدث معي هكذا ... لا تعذبني يا بوريس ... إنني خائفة ...

تريجورين: بوسعك أن تصبحي غير عادية لو أردتِ. الحب الفتي، الساحر، الشاعري، المحلق بك في عالم الأحلام ... هذا الحب هو وحده القادر على منح السعادة على وجه الأرض! أنا لم أجرب بعد مثل هذا الحب ... في الصبا لم يكن لديَّ وقت، كنت أتمسح بأعتاب المجلات والصحف، كنت أصارع الفاقة ... والآن، ها هو هذا الحب، قد جاء أخيرًا، ويجذبني إليه ... فأي معنًى لأن أهرب منه؟

أركادينا (بغضب)**:** لقد جننت!

تريجورين: فليكن.

أركادينا: تآمرتم كلكم عليَّ اليوم لتعذيبي (تبكي)!

تريجورين (يمسك برأسه)**:** إنها لا تفهم! لا تريد أن تفهم!

أركادينا: أأنا حقًّا عجوز وقبيحة إلى هذه الدرجة، حتى إنه يمكن التحدث معي دون حرج عن نساء أخريات؟ (تعانقه وتقبله) أوه، أنت جننت! يا حبيبي الرائع، المدهش … أنت آخر صفحة في حياتي! (تجثو على ركبتَيها) يا سعادتي، يا عزتي، يا نعمتي … (تعانق ركبتَيه) لو تتركني، ولو ساعة، فلن أحتمل، سأجن، يا حبيبي الرائع، البديع، يا مولاي …

تريجورين: قد يدخل أحد هنا (يساعدها على النهوض).

أركادينا: فليكن، أنا لا أخجل من حبي لك … (تقبل يدَيه) يا كنزي، أيها المتهور، أنت تريد أن تستسلم للجنون، وأنا لا أريد، لن أدعك … (تضحك) أنت لي … لي … وهذا الجبين لي، والعينان لي، وهذا الشعر الحريري الرائع أيضًا لي … أنت كلك لي. كم أنت موهوب، ذكي، أنت أفضل الكتاب المعاصرين. أمل روسيا الأوحد … كم لديك من صدق، وبساطة، وطزاجة، وفكاهة حية … بوسعك بلمسة واحدة أن تعبر عن أهم ما يميز الشخص أو المنظر، وأبطالك كأنهم أحياء. لا يمكن للمرء أن يقرأ لك دون إعجاب! أتظن ما أقول مديحًا؟ تملقًا؟ حسنًا، حدق في عيني … حدق … هل أشبه الكاذبة؟ هكذا ترى، أنا الوحيدة التي تعرف قدرك. الوحيدة التي تقول لك الحقيقة يا عزيزي يا روحي … سترحل؟ نعم؟ لن تهجرني؟ …

تريجورين: ليس عندي إرادة … لم يكن لديَّ أبدًا إرادة … طري، رخو، مطيع دائمًا، أمن المعقول أن ذلك يعجب النساء؟ خذيني، احمليني، لكن لا تتركيني أبتعد عنك خطوة …

أركادينا (لنفسها)**:** الآن أصبح لي. (بلهجة استهتار، وكأنما لم يحدث شيء) وعمومًا، إذا أردت، تستطيع أن تبقى. سأسافر أنا وتأتي أنت فيما بعد، بعد أسبوع. وبالفعل علامَ تستعجل؟

تريجورين: لا، بل سنسافر معًا.

أركادينا: كما تشاء. فليكن معًا …

(صمت.)

(تريجورين يدوِّن في مفكرته.)

ماذا بك؟

تريجورين: سمعت صباحًا تعبيرًا جيدًا: «غابة العذارى» … قد ينفع (يتمطى) إذن سنسافر؟ مرة ثانية هذه العربات، والمحطات، والبوفيهات، والكستليتة، والأحاديث …

شمرايف (داخلًا)**:** أتشرف بإخطاركم بمشاعر الحزن بأن الخيول جاهزة. حان الوقت يا سيدتي الموقرة للرحيل إلى المحطة. القطار يأتي في الثانية وخمس دقائق. وهكذا

أرجوك يا إيرينا نيكولايفنا ألَّا تنسَي أن تستعملي ... أين يوجد الآن الممثل سوزد التسف؟ هل هو حي؟ وكيف صحته؟ في وقت ما كنا نشرب معًا ... في «البريد المسروق» لعب بصورة فذة ... أذكر أنه كان يخدم معك آنذاك في مدينة يليزافيتجراد الممثل التراجيدي إيزمايلوف، أيضًا شخصية رائعة ... لا تستعجلي يا سيدتي الموقرة ما زال في الوقت متسع لخمس دقائق. ذات مرة كانا يمثلان في ميلودراما دور المتآمرين، وعندما اكتشفوهما كان ينبغي أن يقولا: «وقعنا في الفخ»، ولكن إيزمايلوف صاح: «وقعنا في الخف» ... (يقهقه) في الخف! ...

(أثناء حديثه يسعى ياكوف بجوار الحقائب، والخادم تحمل لأركادينا القبعة، والمانطو، والمظلة، والقفاز والجميع يساعدون أركادينا على ارتداء ملابسها. من الباب الأيسر يطل الطاهي الذي يدخل بعد ذلك بقليل مترددًا. تدخل بولينا أندرييفنا، ثم سورين ومدفيدينكو.)

بولينا أندرييفنا (تحمل سلة)**:** إليكم برقوقًا للطريق ... حلو جدًّا. ربما أردتم تذوقه ...

أركادينا: أنت طيبة جدًّا يا بولينا أندرييفنا.

بولينا أندرييفنا: الوداع يا عزيزتي! سامحينا إذا كان وقع منا خطأ.

(تبكي.)

أركادينا (تعانقها)**:** كان كل شيء جيدًا، كان كل شيء جيدًا. أما البكاء فلا لزوم له.

بولينا أندرييفنا: زماننا يولِّي!

أركادينا: وما العمل!

سورين (في معطف، ودثار، وقبعة، وبعصًا، يخرج من الباب الأيسر. يعبر الغرفة)**:** حان الوقت يا أختي، أخشى أن نتأخر في نهاية الأمر. سأذهب لأركب (يخرج).

مدفيدينكو: سأذهب إلى المحطة على الأقدام ... لأودعكم ... بسرعة ... (ينصرف).

أركادينا: إلى اللقاء يا أعزائي ... إذا عشنا فسنلتقي في الصيف القادم ...

(الخادم وياكوف والطاهي يقبلون يدها.)

لا تنسوني (تعطي الطاهي روبلًا) هذا روبل لكم الثلاثة.

الطاهي: مع جزيل الشكر يا سيدتي. تصحبك السلامة! ممتنون لك جدًّا!

ياكوف: في رعاية الله!

شمرايف: أسعدونا برسالة! الوداع يا بوريس أليكسييفتش!

أركادينا: وأين قسطنطين؟ قولوا له إنني راحلة. يجب أن أودع. حسنًا، لا تذكرونا بسوء. (لياكوف) أنا أعطيت الطاهي روبلًا. إنه لكم الثلاثة.

(الجميع ينصرفون إلى اليمين. خشبة المسرح خاوية. تتردد خلفها الضجة المميزة للرحيل والوداع. الخادم تعود لتأخذ من على الطاولة سلة البرقوق، وتنصرف ثانية.)

تريجورين (عائدًا)**:** لقد نسيت عصاي. يبدو أنها في الشرفة.

(يذهب فيلتقي عند الباب الأيسر بنينا التي تدخل.)

أهو أنت؟ إننا راحلون ...

نينا: كان عندي إحساس بأننا سنلتقي ثانية. (بانفعال) بوريس أليكسييفتش، لقد اتخذت قراري القاطع، قُضيَ الأمر، سألتحق بالمسرح. غدًا لن أكون هنا، سأترك أبي، سأهجر كل شيء وأبدأ حياة جديدة ... أنا راحلة مثلكم ... إلى موسكو. هناك سنلتقي.

تريجورين (يتلفت)**:** انزلي في فندق «سلافيانسكي بازار» ... أخطريني على الفور ... مولتشانوفكا، منزل جروخولسكي ... أنا مستعجل ...

(صمت.)

نينا: دقيقة أخرى ...

تريجورين (هامسًا)**:** أنت رائعة ... أوه يا لها من سعادة أن أفكر في لقائنا القريب!

(تميل على صدره.)

وأرى من جديدٍ هاتَين العينَين الرائعتَين، وهذه البسمة الرقيقة البديعة بما لا يوصف ... هذه القسمات الوديعة، وتعبير الطهارة الملائكية ... أيتها الغالية ...

(قبلة طويلة.)

(ستار)

(بين الفصلَين الثالث والرابع يمضي عامان.)

الفصل الرابع

(إحدى غرف الاستقبال في منزل سورين، وقد حوَّلها قسطنطين تريبليف إلى غرفة مكتب. بابان إلى اليمين وإلى اليسار يفضيان إلى الغرف الداخلية. في الواجهة باب زجاجي يفضي إلى الشرفة. بالإضافة إلى أثاث غرفة الجلوس العادي توجد في الزاوية اليمنى طاولة مكتب، وبجوار الباب الأيسر كنبة تركية وخزانة كتب، والكتب على النوافذ وعلى المقاعد. الوقت مساء. يشتغل مصباح واحد تحت غطاء. شبه ظلام. يسمع حفيف الأشجار وعويل الريح في المداخن ودقات الحارس. يدخل مدفيدينكو وماشا.)

ماشا (منادية)**:** يا قسطنطين جافريليتش! قسطنطين جافريليتش! (تنظر متفحصة) لا أحد هنا. العجوز يسأل كل دقيقة أين كوستيا أين كوستيا ... لا يستطيع أن يحيا بدونه ...

مدفيدينكو: يخشى الوحدة. (يصيخ) يا له من طقس فظيع! لليوم الثاني على التوالي.

ماشا (ترفع فتيل المصباح)**:** ارتفعت الأمواج في البحيرة. أمواج هائلة.

مدفيدينكو: البستان مظلم. ينبغي تذكيرهم بأن يهدموا ذلك المسرح في البستان ... يقوم عاريًا ... قبيحًا، كالهيكل العظمي، وستاره يقرقع في الريح. عندما مررت بجواره مساء أمس، خيل إليَّ أن بداخله أحدًا يبكي.

ماشا: يا للتصورات!

(صمت.)

مدفيدينكو: فلنعد يا ماشا إلى البيت.

ماشا (تهز رأسها سلبًا)**:** سأبقى للمبيت هنا.
مدفيدينكو (ضارعًا)**:** ماشا، فلنعد! طفلنا أكيد جائع!
ماشا: بسيطة، ستطعمه متريونا.

(صمت.)

مدفيدينكو: مسكين. لليلة الثالثة بدون أمه.
ماشا: كم أصبحت مملًّا. كنت في السابق تتفلسف على الأقل، أما الآن فلا شيء إلا الطفل والمنزل، الطفل والمنزل ... ولا أسمع منك غير ذلك.
مدفيدينكو: فلنعد يا ماشا!
ماشا: اذهب أنت.
مدفيدينكو: أبوك لا يعطيني حصانًا.
ماشا: اطلب منه وسيعطيك.
مدفيدينكو: وهو كذلك. إذن ستأتين غدًا؟
ماشا (تستنشق التبغ)**:** طيب، غدًا ... كفى إلحاحًا ...

(يدخل تريبليف وبولينا أندرييفنا. تريبليف يحمل وسائد وبطانية، وبولينا أندرييفنا تحمل ملاءات. يضعانها على الكنبة التركية، ثم يتجه تريبليف إلى مكتبه ويجلس إليه.)

لِمَ هذا يا ماما؟
بولينا أندرييفنا: طلب بيوتر نيكولايفتش أن نفرش له بالقرب من كوستيا.
ماشا: هاتي أن أفرش ... (تعد الفراش)
بولينا أندرييفنا (متنهدة)**:** العجوز والطفل سيان ... (تتجه إلى طاولة المكتب وترتكز عليها بيدَيها وتحدق في المخطوط.)

(صمت.)

مدفيدينكو: إذن سأذهب. وداعًا يا ماشا (يقبل يد زوجته) وداعًا يا نينة (يريد أن يقبِّل يد حماته).
بولينا أندرييفنا (بأسًى)**:** طيب، مع السلامة!
مدفيدينكو: وداعًا يا قسطنطين جافريليتش.

(تريبليف يمد له يده في صمت. ينصرف مدفيدينكو.)

بولينا أندرييفنا (تحدق في المخطوط)**:** لم يكن أحد يظن أو يخمن يا كوستيا أنك ستصبح كاتبًا حقيقيًّا. وها هم الآن، والحمد لله، يرسلون لك النقود من المجلات (تمر بيدها خلال شعره) وأصبحت جميلًا ... يا كوستيا العزيز، أيها الطيب، كن أكثر رقة مع ابنتي ماشنكا! ...

ماشا (تعد الفراش)**:** دعيه يا ماما.

بولينا أندرييفنا (لتريبليف)**:** إنها لطيفة.

(صمت.)

المرأة يا كوستيا لا تحتاج إلى شيء. فقط انظر إليها برقة. أعرف هذا بخبرتي.

(ينهض تريبليف من أمام المكتب وينصرف في صمت.)

ماشا: ها قد أغضبته. ما كان ينبغي أن تضايقيه.

بولينا أندرييفنا: إنني أرثي لك يا ماشنكا.

ماشا: لا حاجة إلى ذلك!

بولينا أندرييفنا: قلبي يتمزق ألمًا عليك. إنني أرى وأفهم كل شيء.

ماشا: هراء. الحب بلا أمل يوجد في الروايات فقط. كلام فارغ. المهم ألا تتراخي وتبقي منتظرةً شيئًا ما، منتظرةً الرياح المواتية ... إذا تسرب الحب إلى قلبك فينبغي طرده. لقد وعدوا زوجي بنقله إلى إقليم آخر. ما إن ننتقل إلى هناك حتى أنسى كل شيء ... أقتلعه بجذوره من قلبي.

(عبر غرفتَين يتردد لحن فالس حزين.)

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. إذن فهو يشعر بالوحشة.

ماشا (تدور دورتَين أو ثلاثًا من رقصة الفالس بدون صخب)**:** المهم يا ماما ألا أراه أمام عيني. فلينقلوا سيميون زوجي وعندئذٍ، صدقيني، سأنساه في شهر واحد. كل هذا هراء.

(يفتح الباب الأيسر، دورن ومدفيدينكو يدفعان كرسيًّا متحركًا وعليه سورين.)

مدفيدينكو: أصبح لديَّ ستة أشخاص في البيت. والدقيق يساوي سبعين كوبيكا للبود.

دورن: فلتدبر أمورك إذن.

مدفيدينكو: من السهل عليك أن تسخر ... النقود لديك بلا حساب.

دورن: النقود؟ خلال ثلاثين عامًا من الممارسة يا صديقي، الممارسة الشاقة، عندما لم أكن ملك نفسي لا نهارًا ولا ليلًا، استطعت أن أدخر ألفي روبل فقط، وقد أنفقتها عندما كنت في الخارج منذ قريب. ليس لديَّ شيء.

ماشا (لزوجها)**:** ألم ترحل؟

مدفيدينكو (بذنب)**:** وما العمل؟ لا يعطونني حصانًا!

ماشا (بأسًى ومرارة، شبه هامسة)**:** لو أن عيني لا تراك!

(يتوقف الكرسي في نصف الغرفة الأيسر. تجلس بولينا أندرييفنا وماشا ودورن بجواره. ينتحي مدفيدينكو المحزون جانبًا.)

دورن: أوه، ما أكثر التغييرات لديكم! جعلتم من غرفة الجلوس مكتبًا.

ماشا: قسطنطين جافريليتش يرتاح إلى العمل هنا أكثر. بوسعه أن يخرج إلى البستان في أي وقت ليفكر هنالك.

(الحارس يدق.)

سورين: وأين أختي؟

دورن: رحلت إلى المحطة لتستقبل تريجورين. ستعود حالًا.

سورين: طالما رأيتم من اللازم استدعاء أختي، فهذا معناه أن حالتي خطيرة (بعد صمت) يا لها من حكاية! حالتي خطيرة ومع ذلك لا يعطونني أي دواء.

دورن: وماذا تريد؟ نقاط فاليريانة؟ صودا؟ كينا؟

سورين: آه، يبدأ التفلسف. أوه، يا للعذاب!

(يومئ برأسه إلى الكنبة.)

هذا الفراش لي؟

بولينا أندرييفنا: لك يا بيوتر نيكولايفتش.

سورين: أشكرك.

دورن (يدندن)**:** «في سماء الليل يسبح الهلال ...»

سورين: أريد أن أقدم لكوستيا موضوعًا لرواية. ينبغي أن يكون عنوانها هكذا: «الرجل الذي أراد» L'HOMME QUI A VOULU في صباي أردت ذات يوم أن أصبح أديبًا ... ولم أصبح. أردت أن أتحدث ببلاغة فصرت أتحدث بفظاعة (يقلد نفسه) «وخلافه، وما إلى ذلك، يعني، لا أعني» ... كنت أسعى طويلًا لتقديم الخلاصة، أسعى حتى العرق. وأردت أن أتزوج، فلم أتزوج. أردت أن أعيش دائمًا في المدينة، وها أنا ذا أنهي حياتي في القرية وخلافه.

دورن: أردت أن تصبح مستشار دولة ... فأصبحت ...

سورين (ضاحكًا)**:** لم أسع إلى هذا. ذلك حدث بلا تدبير.

دورن: أن تعرب عن سخطك على الحياة وأنت في الثانية والستين ... صدقني، هذه ليست سماحة.

سورين: يا لك من عنيد. افهمني، أود أن أعيش!

دورن: هذا طيش، حسب قوانين الطبيعة كل حياة ينبغي أن تكون لها نهاية.

سورين: أنت تتحدث كشخص شبعان. أنت شبعان ولذلك لا تبالي بالحياة، كل شيء لديك سيان. ومع ذلك فستشعر أنت أيضًا بالخوف عند الموت.

دورن: الخوف من الموت خوف حيواني ... ينبغي كبته. الذين يخشون الموت عن وعي هم فقط من يؤمنون بالحياة الخالدة، والذين يشعرون بالفزع من ذنوبهم. أما أنت، فأولًا لست مؤمنًا، وثانيًا أي ذنوب لديك؟ لقد خدمت خمسة وعشرين عامًا في دائرة المحاكم، وهذا كل ما هنالك.

سورين (ضاحكًا)**:** ثمانية وعشرين ...

(يدخل تريبليف ويجلس على أريكة عند قدمي سورين. ماشا لا تحول عنه عينَيها طوال الوقت.)

دورن: إننا نعطل قسطنطين جافريلوفتش عن العمل.

تريبليف: لا، لا بأس.

(صمت.)

مدفيدينكو: لو سمحت يا دكتور بسؤال: أي مدينة في الخارج أعجبتك أكثر؟

دورن: جنوة.

تريبليف: ولماذا جنوة؟

دورن: جمهور الشارع هناك رائع. عندما تخرج مساءً من الفندق، تجد الشارع مكتظًّا بالبشر. ثم تسير بعد ذلك مع الحشد دون غاية، إلى هنا وهناك، في خط متكسر، وتعيش معه حياته وتندمج معه نفسيًّا، فتكاد تصدق أنه بالفعل، من الممكن أن توجد روح عالمية واحدة، كتلك التي لعبتها نينا زاريتشنايا ذات يوم في مسرحيتك. بالمناسبة، أين زاريتشنايا الآن؟ أين وكيف هي؟

تريبليف: بصحة جيدة على ما يبدو.

دورن: سمعت أنها سلكت حياة من نوع خاص. ما المسألة؟

تريبليف: هذه يا دكتور قصة طويلة.

دورن: فهلا اختصرت.

(صمت.)

تريبليف: هربت من البيت وعاشرت تريجورين. هل تعرف ذلك؟

دورن: أعرف.

تريبليف: وكان لديها طفل. ثم مات الطفل. ولم يعد تريجورين يحبها، وعاد إلى علاقاته السابقة كما كان متوقعًا. وعمومًا فهو لم يقطع أبدًا صلته بعلاقاته السابقة، بل استطاع، لضعف شخصيته، أن يظل هنا وهناك. وعلى قدر فهمي مما علمت به فإن نينا لم توفق في حياتها الخاصة على الإطلاق.

دورن: والمسرح؟

تريبليف: يبدو أسوأ. بدأت أول أدوارها في مسرح صيفي قرب موسكو، ثم رحلت إلى الريف. آنذاك لم أتركها تغيب عن نظري، وظللت لفترة أرحل إلى حيث ترحل. كانت تتصدى للأدوار الرئيسية، ولكنها كانت تمثل بخشونة، بلا ذوق، بعويل وحركات حادة. وكانت هناك لحظات صرخت فيها بموهبة، أو ماتت بموهبة، ولكنها كانت مجرد لحظات.

دورن: إذن فلديها موهبة رغم ذلك.

تريبليف: كان من الصعب أن تفهم. ربما كان لديها. كنت أنا أراها ولكنها لم ترد أن تراني، ومنعني الخدم من دخول غرفتها. وقد فهمت حالتها فلم أصر على طلب رؤيتها.

(صمت.)

ماذا أقول لك أيضًا؟ بعد أن عدت إلى البيت تلقيت منها عدة رسائل. رسائل ذكية، دافئة، شيقة. لم تشك من شيء ولكني أحسست أنها تعيسة للغاية. كل سطر عصب مريض مشدود. وخيالها مختل نوعًا ما. كانت توقع الرسائل بـ «النورس». في «جنية البحر»[1] يقول الطحان إنه غراب، وهي في رسائلها كانت تردد أنها نورس. والآن هي هنا.

دورن: كيف، هنا؟

تريبليف: في المدينة، في فندق. منذ خمسة أيام تقيم هناك في غرفة. أنا ذهبت إليها، وماريا إيلينيشنا أيضًا ذهبت، ولكنها لا تستقبل أحدًا. سيميون سيميونوفتش يؤكد أنه رآها بالأمس بعد الغداء في الحقل، على بعد كيلومترَين من هنا.

مدفيدينكو: نعم، رأيتها. كانت تسير في تلك الجهة، نحو المدينة. حييتها، وسألتها لماذا لا تزورنا، فقالت إنها ستأتي.

تريبليف: لن تأتي.

(صمت.)

أبوها وزوجته لا يريدان رؤيتها. وقد وضعا الحراس في كل مكان لكيلا تستطيع حتى الاقتراب من الضيعة. (يبتعد مع الدكتور إلى المكتب) ما أسهل يا دكتور أن تكون فيلسوفًا على الورق وما أصعب ذلك عمليًّا!

سورين: كانت فتاة ساحرة.

دورن: ماذا؟

سورين: أقول كانت فتاة ساحرة. حتى إن مستشار الدولة سورين كان متيمًا بها بعض الوقت.

دورن: أيها الغندور العجوز.

(يسمع ضحك شمرايف.)

بولينا أندرييفنا: يبدو أنهم جاءوا من المحطة ...

تريبليف: نعم، أسمع صوت ماما.

---

[1] «جنية البحر» قصيدة طويلة للشاعر الكبير ألكسندر بوشكين. (المعرب)

(تدخل أركادينا وتريجورين وخلفهما شمرايف.)

شمرايف (داخلًا)**:** كلنا نهرم، نتفتت بتأثير عوامل التعرية، أما أنت، يا سيدتي الموقرة، فما زلت صبية ... البلوزة الفاتحة، والحيوية ... والرشاقة ...

أركادينا: تريد أن تحسدني ثانية أيها الرجل الممل!

تريجورين (لسورين)**:** مرحبًا يا بيوتر نيكولايفتش! ما لك مريض دائمًا؟ لا يصح! (يرى ماشا فيقول بفرح) ماريا إيلينتشنا!

ماشا: عرفتني؟ (تشد على يده.)

تريجورين: متزوجة؟

ماشا: من زمان.

تريجورين: سعيدة؟ (ينحني محييًا دورن ومدفيدينكو، ثم يقترب من تريبليف مترددًا) إيرينا نيكولايفنا قالت إنك نسيت الماضي ولم تعد غاضبًا.

(تريبليف يمد له يده.)

أركادينا (لابنها)**:** ها هو بوريس أليكسييفتش قد أحضر المجلة التي نشرت قصتك الجديدة.

تريبليف (لتريجورين متناولًا منه المجلة)**:** أشكرك. هذا كرم منك.

(يجلسان.)

تريجورين: المعجبون بك يبعثون إليك بتحياتهم ... في بطرسبرج وموسكو مهتمون بك عمومًا، ودائمًا ما يسألونني عنك. يسألون: كيف يبدو، كم عمره، أسود الشعر أم أشقر. ولسبب ما يظنون جميعًا أنك كهل. ولا أحد يعرف اسم عائلتك الحقيقي لأنك تكتب باسم مستعار. أنت غامض كذي القناع الحديدي.

تريبليف: هل ستبقى طويلًا لدينا؟

تريجورين: كلا، غدًا أنوي العودة إلى موسكو. ضروري. أتعجل لإنهاء رواية، ثم إني وعدت بتقديم شيء ما لمجموعة قصص. وباختصار: الحكاية القديمة. (أثناء حديثهما تضع أركادينا وبولينا أندرييفنا طاولة لعب الورق في وسط الغرفة وتفردانها. شمرايف يشعل الشموع ويضع الكراسي. يستخرجون من الصوان معدات اللوتو.)

استقبلني الجو استقبالًا غير ودي. الريح قاسية. غدًا صباحًا، لو هدأت، فسأذهب إلى البحيرة لاصطياد السمك. بالمناسبة ينبغي أن أتفقد البستان، وذلك المكان — أتذكر؟ — الذي مثلت فيه مسرحيتك. لقد نضجت في ذهني فكرة، فقط من الضروري استعادة مكان الأحداث إلى الذاكرة.

ماشا (لأبيها)**:** بابا، اسمح لزوجي أن يأخذ حصانًا! عليه أن يعود إلى البيت.

شمرايف (مقلدًا)**:** حصانًا ... إلى البيت ... (بصرامة) ألم تري بنفسك ... الحصان عاد لتوه من المحطة. لا يمكن إرهاقه أكثر.

ماشا: ولكن هناك خيولًا أخرى ... (عندما ترى أباها صامتًا تشيح بيدها) ما جدوى الكلام معك؟

مدفيدينكو: سأعود ماشيًا يا ماشا. صحيح ...

بولينا أندرييفنا (متنهدة)**:** مشيًا، في هذا الجو! (تجلس إلى طاولة اللعب) تفضلوا يا سادة.

مدفيدينكو: كل المسافة ستة كيلومترات فقط ... وداعًا (يقبل يد زوجته) الوداع يا نينة.

(تمد له حماته يدها على مضض ليقبلها.)

ما كنت لأزعج أحدًا ... ولكن الطفل ... (ينحني للجميع) وداعًا ... (ينصرف، ومشيته تبدو مذنبة).

شمرايف: لا بأس، سيصل. ليس جنرالًا.

بولينا أندرييفنا (تدق على الطاولة)**:** تفضلوا يا سادة. الوقت قليل، فقريبًا سنتعشى.

(يجلس شمرايف وماشا ودورن إلى الطاولة.)

أركادينا (لتريجورين)**:** عندما تحل أمسيات الخريف الطويلة يلعبون اللوتو هنا. انظر ... لوتو عتيق، كانت تلعب معنا به المرحومة أمي، عندما كنا أطفالًا. ألا تريد أن تلعب معنا جولة قبل العشاء؟ (تجلس مع تريجورين إلى الطاولة) لعبة مملة، ولكن إذا ألفتها فلا بأس بها (توزع على كلٍّ منهم ثلاث بطاقات).

تريبليف (يتصفح المجلة)**:** روايته قرأها، أما روايتي فلم يفض حتى صفحاتها (يضع المجلة على المكتب، ثم يتوجه إلى الباب الأيسر، عندما يمر بجوار أمه يقبلها في رأسها).

أركادينا: وأنت يا كوستيا؟

تريبليف: اعذريني، لا أشعر برغبة ... سأتمشى (يخرج).

أركادينا: الرهان عشرة كوبيكات، ضع بدلًا عني يا دكتور.

دورن: حاضر.

ماشا: هل وضع الجميع رهانهم؟ سأبدأ ... اثنان وعشرون!

أركادينا: عندي.

ماشا: ثلاثة! ...

دورن: هكذا.

ماشا: وضعتم ثلاثة؟ ثمانية! واحد وثمانون! تسعة!

شمرايف: لا تستعجلي.

أركادينا: كيف استقبلوني في خاركوف، يا إلهي، رأسي يدور حتى الآن!

ماشا: أربعة وثلاثون!

(خلف المسرح يتردد فالس حزين.)

أركادينا: الطلبة أثاروا عاصفة من التصفيق ... ثلاث سلال زهور وإكليلان وهذا ... (تنزع من صدرها بروشًا وتلقي به على الطاولة).

شمرايف: نعم، هذا شيء قيم ...

ماشا: خمسون! ...

دورن: خمسون تمامًا؟

أركادينا: كنت في فستان مدهش ... فيما يخص الملابس فأنا أعرف كيف ألبس.

بولينا أندرييفنا: كوستيا يعزف. يشعر بالوحشة، المسكين.

شمرايف: يسبونه كثيرًا في الصحف.

ماشا: سبعة وسبعون!

أركادينا: لا داعي للالتفات إلى ذلك.

تريجورين: إنه سيئ الحظ. لا يستطيع أبدًا أن يصل إلى نبرته الحقيقية. يكتب أشياء غريبة، غير واضحة، تشبه الهذيان أحيانًا. ليس هناك شخصية واحدة حية.

ماشا: أحد عشر!

أركادينا (تتطلع إلى سورين): بتروشا، هل تشعر بالملل؟

(صمت.)

نائم.

دورن: مستشار الدولة نائم.

ماشا: سبعة! تسعون!

تريجورين: لو عشت في ضيعة كهذه، بجوار بحيرة، فهل كنت أكتب؟ كنت أكبت في نفسي هذا الهوى ولا أفعل شيئًا غير صيد السمك.

ماشا: ثمانية وعشرون!

تريجورين: أن تصطاد رافة أو فرخًا ... يا لها من سعادة!

دورن: أما أنا فمؤمن بقسطنطين جافريليتش. فيه ثمة شيء! ثمة شيء! إنه يفكر بالصور، وقصصه زاهية، ساطعة، وأنا أحس بها بقوة. المؤسف فقط أنه ليس لديه مهام محددة. إنه يترك أثرًا في النفس، ولا شيء أكثر، وبالأثر وحده لن تمضي بعيدًا. إيرينا نيكولايفنا، هل أنتِ مسرورة بأن ابنك كاتب؟

أركادينا: تصور! إنني لم أقرأه بعد. دائمًا مشغولة.

ماشا: ستة وعشرون!

(يدخل تريبليف بهدوء ويتجه إلى مكتبه.)

شمرايف (لتريجورين)**:** لقد بقي لدينا يا بوريس أليكسييفتش شيء يخصك.

تريجورين: ما هو؟

شمرايف: ذات مرة اصطاد قسطنطين جافريليتش نورسًا فكلفتني أن أوصيَ بتحنيطه.

تريجورين: لا أذكر (متفكرًا) لا أذكر!

ماشا: ستة وستون! واحد!

تريبليف (يفتح الشباك ويصيخ)**:** يا للظلام! لست أدري لماذا أشعر بهذا الاضطراب.

أركادينا: كوستيا، أغلق الشباك، الهواء يهب.

(تريبليف يغلق الشباك.)

ماشا: ثمانية وثمانون!

تريجورين: لقد كسبت يا سادة!

أركادينا (بمرح)**:** برافو! برافو!

شمرايف: برافو!

أركادينا: هذا الشخص حسن الحظ دائمًا وأبدًا. (تنهض) والآن هيا بنا نتناول شيئًا ما. نجمنا المشهور لم يتغدَّ اليوم. سنتابع اللعب بعد العشاء (إلى ابنها) كوستيا، اترك مخطوطاتك وهيا نتعشى.

تريبليف: لا أريد يا ماما، أنا شبعان.

أركادينا: كما تشاء، (توقظ سورين) بتروشا، العشاء!

(تتأبط ذراع شمرايف) سأروي لك كيف استقبلوني في خاركوف …

(بولينا أندرييفنا تطفئ الشموع على الطاولة ثم تدفع هي ودورن الكرسي المتحرك. الجميع يخرجون من الباب الأيسر. يبقى في المسرح تريبليف وحده خلف مكتبه.)

تريبليف (يهم بالكتابة. يمر بعينيه على ما كتبه من قبل)**:** كم تكلمت عن الأشكال الجديدة، والآن أشعر أني شخصيًّا أنحدر شيئًا فشيئًا إلى الروتين. (يقرأ) «كان الإعلان على السور ينص … وجه شاحب يؤطره شعر أسود …» ينص، يؤطره … هذه سخافة. (يشطب) سأبدأ من حيث استيقظ البطل على صخب المطر، وما عدا ذلك سأرميه. وصف المساء المقمر طويل وفخم. تريجورين توصل إلى طرقه الخاصة، سهل عليه أن يكتب … عنده على السد يلمع عنق زجاجة مكسورة ويلوح ظل عجلة الطاحونة السوداء … وهذا يكفي لصنع ليلة مقمرة، أما أنا فلديَّ النور الخفَّاق، ووميض النجوم الخافت، وأنغام المعزف البعيدة، المتلاشية في الهواء المعطر الخفيف … هذا معذِّب.

(صمت.)

نعم، إنني أقتنع أكثر فأكثر بأن المسألة ليست في الأشكال القديمة والجديدة، وإنما في أن الكاتب يكتب دون أن يفكر في أي أشكال. يكتب لأن ذلك ينساب من روحه بسلاسة.

(شخص ما يدقُّ النافذة القريبة من المكتب.)

ما هذا؟ (يتطلع في النافذة) لا أرى شيئًا … (يفتح الباب الزجاجي وينظر إلى الحديقة) شخص ما ركض هابطًا على الدرج. (يصيح) مَن هنا؟

(ينصرف، يسمع وقع خطواته السريعة في الشرفة. بعد نصف دقيقة يعود مع نينا زاريتشنايا.)

نينا! نينا!

(نينا تضع رأسها على صدره وهي تكتم البكاء.)

(متأثرًا) نينا! نينا! أهو أنت ... أنت ... كما لو كنت أتوقع، طوال اليوم كنت أشعر بلوعة فظيعة. (ينزع عنها القبعة والإزار) آه حبيبتي الطيبة، النادرة، قد جاءت! كفانا بكاءً، كفانا.

نينا: يوجد هنا أحد ما.

تريبليف: لا أحد هنا.

نينا: أوصد الباب حتى لا يدخل أحد.

تريبليف: لن يدخل أحد.

نينا: أنا أعرف ... إيرينا نيكولايفنا هنا. أوصد الباب ...

تريبليف (يوصد الباب الأيمن بالمفتاح ويتجه إلى الباب الأيسر)**:** لا يوجد هنا قفل. سأضع الكرسي خلفه. (يضع الكرسي خلف الباب) لا تخافي، لن يدخل أحد.

نينا (تحدق في وجهه بانتباه)**:** دعني أنظر إليك. (تتلفت حولها) المكان دافئ، مريح ... في السابق كانت هنا غرفة الجلوس ... هل تغيرت كثيرًا؟

تريبليف: نعم ... نحفت، وأصبحت عيناك واسعتين. نينا، من الغريب أن أراك. لماذا لم تسمحي لي برؤياك؟ لماذا لم تأتي حتى الآن؟ أنا أعرف أنك تقيمين هنا منذ أسبوع تقريبًا ... كل يوم كنت أذهب إليك عدة مرات، وأقف تحت نافذتك كالشحاذ.

نينا: كنت أخشى أنك تمقتني. كل ليلة أحلم أنك تنظر إليَّ ولا تتعرف عليَّ. آه لو تعرف! منذ أن وصلت وأنا أدور هنا ... بجوار البحيرة. كنت بجوار بيتك عدة مرات، ولم أجرؤ على الدخول. فلنجلس.

(يجلسان.)

لنجلس ولنتحدث، كثيرًا. المكان هنا لطيف، دافئ مريح ... أتسمع، أهي الريح؟ كما لدى تورجينيف في إحدى قصصه: «طوبى لمن يجلس في مثل هذه الليالي تحت سقف منزله، لمن لديه ركن دافئ». أنا نورس ... كلا. ليس هذا. (تفرك جبينها) عمَّ كنت أتحدث؟ نعم ... تورجينيف ... «وليساعد الله جميع المشردين بلا مأوًى» ... لا بأس (تنتحب).

تريبليف: نينا، عدت ثانية ... نينا!

نينا: لا بأس، هذا يخفف عني ... أنا لم أبكِ منذ عامَين. مساء الأمس، في ساعة متأخرة، ذهبت إلى الحديقة لأرى هل مسرحنا ما زال سليمًا، فإذا به لا يزال قائمًا. بكيت لأول مرة منذ عامين، فأحسست بالراحة، وأصبحت روحي أكثر صفاء. انظر، لم أعد أبكي. (تتناول يده) وهكذا فقد أصبحت كاتبًا ... أنت كاتب وأنا ممثلة ... نحن أيضًا وقعنا في الدوامة ... كنت أعيش في مرح، كالأطفال، أستيقظ صباحًا فأغنِّي. كنت أحبك، وأحلم بالشهرة، والآن؟ عليَّ غدًا في الصباح الباكر أن أسافر إلى يليتس في عربة الدرجة الثالثة ... مع الفلاحين، وفي يليتس سيثقل التجار المتعلمون عليَّ بمجاملاتهم. الحياة فظَّة!

تريبليف: ولماذا إلى يليتس؟

نينا: وقعت عقدًا لموسم الشتاء. آن أن أرحل.

تريبليف: نينا، لقد لعنتكِ، كرهتكِ، مزقت رسائلك وصورك، ولكني في كل لحظة كنت أدرك أن روحي مرتبطة بك إلى الأبد. أنا لا أقوى على سلواكِ يا نينا. ومنذ أن فقدتك، ومنذ أن بدأت أنشر قصصي أصبحت الحياة لا تطاق ... إنني أتعذب ... كما لو كان شبابي قد انتزع مني فجأة، ويخيل إليَّ أنني قد عشت في الدنيا تسعين عامًا. إنني أناديك، أقبل الأرض التي سرت عليها. وحيثما نظرت لا أرى إلا وجهك، وهذه الابتسامة الرقيقة، التي أضاءت لي في أجمل سنوات عمري ...

نينا (مرتبكة)**:** لماذا يتحدث هكذا، لماذا يتحدث هكذا؟

تريبليف: أنا وحيد، لا حب يدفئني، أشعر بالبرد كأني في قبو، وكل ما أكتبه يخرج جافًّا، خشنًا، كئيبًا. ابقي هنا يا نينا، أتوسل إليكِ، أو اسمحي لي بالسفر معك!

(نينا ترتدي القبعة والإزار بسرعة.)

نينا لماذا؟ أرجوك يا نينا ... (يتطلع إليها وهي ترتدي ملابسها).

(صمت.)

نينا: العربة تقف عند الباب. لا تودعني، سأنصرف وحدي ... (من خلال الدموع) أعطني ماءً ...

تريبليف (يسقيها)**:** وإلى أين الآن؟

نينا: إلى المدينة.

(صمت.)

إيرينا نيكولايفنا هنا؟

تريبليف: نعم ... يوم الخميس ساءت حالة خالي فأرسلنا إليها برقية لكي تحضر.

نينا: لماذا تقول إنك قبلت الأرض التي سرت عليها؟ ينبغي قتلي (تميل على المكتب) كم تعبت! لو أستريح ... لو أستريح! (ترفع رأسها) أنا نورس ... ليس هكذا. أنا ممثلة. نعم، حقًّا! (تسمع ضحك أركادينا وتريجورين، تصيخ، ثم تركض إلى الباب الأيسر وتنظر في فتحة القفل) وهو أيضًا هنا ... (تعود إلى تريبليف) نعم، حقًّا ... لا بأس ... نعم ... لم يكن يؤمن بالمسرح، كان يسخر من أحلامي، وشيئًا فشيئًا فقدت أنا أيضًا إيماني وخار عزمي ... ثم فوق ذلك هموم الحب، والغيرة، والخوف الدائم على الطفل ... أصبحت تافهة، ضئيلة، ومثَّلت بلا معنًى ... لم أكن أعرف ماذا أفعل بيديَّ، ولا أجيد الوقوف على الخشبة، ولا أتحكم في صورتي. أنت لا تدرك تلك الحالة التي تحس فيها بأنك تمثل بصورة فظيعة. أنا نورس. كلا، ليس هذا ... أتذكر عندما قتلت نورسًا؟ بالصدفة جاء شخص، فنظر، ومن الفراغ قضى عليها ... موضوع لقصة قصيرة ... ليس هذا ... (تفرك جبينها) عمَّ أتحدث؟ ... أتحدث عن المسرح. الآن لم أعد كذلك ... أنا الآن ممثلة حقيقية، أمثل باستمتاع، بإعجاب، أنتشي على الخشبة وأشعر بأنني رائعة. أما الآن فطالما أعيش هنا، أسير طوال الوقت، أسير وأفكر، أفكر وأشعر بقواي الروحية تنمو يومًا بعد يوم ... والآن أعرف يا كوستيا، أفهم، إن المهم في عملنا – سواء نلعب على المسرح أم نكتب – ليست الشهرة، ليس البريق، ليس ما كنت أحلم به، بل القدرة على الصبر. فلتعرف كيف تحمل صليبك، ولتؤمن. إنني أُومِن؛ ولذلك لا أتألم بتلك الدرجة، وعندما أفكر في دوري في الحياة لا أعود أخشاها.

تريبليف (بأسًى)**:** أنتِ وجدتِ طريقك، أنت تعرفين إلى أين تقصدين، أما أنا فما زلت أحلق في فوضى الأحلام والصور، ولا أعرف لمَ ذلك ومن بحاجة إليه. أنا لا أُومِن ولا أعرف ما هو دوري في الحياة.

نينا (تصيخ)**:** هس ... سأذهب. وداعًا. عندما أصبح ممثلة كبيرة تعالَ لكي تراني. هل تعدني؟ أما الآن ... (تشد على يده) تأخر الوقت. لا أكاد أقوى على الوقوف ... أنا منهكة، أريد أن آكل ...

تريبليف: ابقي، وسأقدِّم لكِ عشاءً ...

نينا: كلا ... لا تودعني، سأنصرف وحدي ... العربة قريبة ... إذن فقد جاءت به معها؟ حسنًا، سيان. عندما ترى تريجورين لا تقل له شيئًا ... إنني أحبه. أحبه حتى أقوى من السابق ... موضوع لقصة قصيرة ... أحبه، أحبه بعنف، أحبه بجنون. كم كان الماضي

طيبًا يا كوستيا! أتذكر؟ كم كانت الحياة صافية، دافئة، مرحة، طاهرة، وأي مشاعر ... مشاعر تشبه الزهور الرقيقة الأنيقة. أتذكر؟ (تقرأ) «الناس، والأسود، والنسور والسمانات، والغزلان ذات القرون، والإوز، والعناكب، والأسماك الخرساء التي عاشت في المياه، ونجوم البحر، وتلك المخلوقات التي لم يكن ممكنًا رؤيتها بالعين المجردة ... باختصار كل الأحياء، كل الأحياء، انطفأت بعد أن أنجزت دورتها الحزينة ... مرت آلاف القرون والأرض لا تحمل على سطحها أثرًا لحي، وعبثًا يضيء هذا القمر المسكين مصباحه. في المروج لم تعد اللقالق تستيقظ زاعقة، وفي غيضات الزيزفون لم يعد يسمع أزيز خنافس الربيع ...» (تعانق تريبليف بحدة وتركض عبر الباب الزجاجي).

تريبليف (بعد فترة): سيكون من السيئ لو رآها أحدٌ في الحديقة ثم أخبر ماما بذلك. قد يُحزن هذا ماما ...

(على امتداد دقيقتَين يمزِّق كل مخطوطاته ويلقي بها تحت المكتب، ثم يفتح قفل الباب الأيمن وينصرف.)

دورن (يحاول فتح الباب الأيسر): غريبة. يبدو وكأن الباب موصد ... (يدخل ويضع الكرسي في مكانه) سباق حواجز.

(تدخل أركادينا وبولينا أندرييفنا، ومن خلفهما ياكوف حاملًا زجاجات، وماشا، ثم شمرايف وتريجورين.)

أركادينا: النبيذ الأحمر والبيرة لبوريس أليكسييفتش ضعها هنا، على الطاولة ... سنلعب ونشرب ... فلنجلس يا سادة.

بولينا أندرييفنا (لياكوف): قدم الشاي حالًا (تشعل الشموع وتجلس إلى طاولة اللعب).

شمرايف (يقود تريجورين إلى الصوان): ها هو الشيء الذي حدثتك عنه منذ فترة ... (يستخرج من الصوان نورسًا محنطًا) حسب طلبك.

تريجورين (ينظر إلى النورس): لا أذكر! (يفكر قليلًا) لا أذكر!

(إلى اليمين خلف المسرح تدوي طلقة. الجميع ينتفضون.)

أركادينا (بفزع): ما هذا؟

دورن: لا شيء. لا بد أن زجاجة ما انفجرت في صيدليتي المحمولة. لا تقلقوا. (يخرج من الباب الأيمن، ويعود بعد نصف دقيقة) هو كذلك. انفجرت قارورة أثير. (يدندن) «بين يديك من جديد قد وقفت ذاهلًا ...»

أركادينا (تجلس إلى الطاولة)**:** أف، كم فزعت ... ذكرني هذا بـ ... (تخفي وجهها بيدَيها) دارت الدنيا في عيني ...

دورن (لتريجورين وهو يقلب مجلة)**:** نشروا هنا مقالة منذ شهرَين ... رسالة من أمريكا، وبالمناسبة أردت أن أسألك (يحيط بخصر تريجورين ويقوده إلى مقدمة المسرح) ولما كنت مهتمًّا جدًّا بهذه المسألة ... (بنبرة أخفض، بشبه همس) خذ إيرينا نيكولايفنا من هنا بأي وسيلة. المسألة أن قسطنطين جافريليتش انتحر ...

(ستار)


هنداوي